

**عوامل نجاح الدعوة الأكاديمية التخصصية**

**(بين النظرية والتطبيق)**

**إعداد**

**د/ إبراهيم على أحمد محمد**

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية  
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة  
جامعة الأزهر

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



## عوامل نجاح الدعوة الأكاديمية التخصصية

(بين النظرية والتطبيق)

**إبراهيم علي أحمد محمد**

قسم الثقافة الإسلامية - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر

البريد الإلكتروني: [ibrahemali.2013@azhar.edu.eg](mailto:ibrahemali.2013@azhar.edu.eg)

### الملخص

يدرس هذا البحث كيفية النهوض بالدعوة إلى الله تعالى من خلال ذكر عوامل نجاح الدعوة الأكاديمية التخصصية، ومن تلك العوامل الابتكار في الدعوة والإبداع فيها واستثمار تأثير الوحي الكريم، وموافقة الفطرة للدين، وتبني طريقة القرآن في الدعوة، وإبراز بعض الفنيات التي ينبغي أن يتبعها الداعية لإنجاح دعوته من أدوات جذب الجمهور، والأسباب المكسبة لذلك، ثم الحديث عن عوامل إخفاق الدعوة وتجنبها، ومنها الخطاب الذي لا يمس الواقع ومشكلاته، والنقل دون مراعاة الصحة والمنطقية وغيرها، والحديث عن آداب الداعية التي ينبغي تفعيلها لتؤتي ثمارها ومنها عدم التعالي والغرور مهما بلغ علم الداعية، والاستجابة لملاحظات الجمهور وغيرها كل ذلك مقارنة بما يسمى بظاهرة الدعاة الجدد، فلكل فن رجاله، واحترام التخصص واجب ديني كل ذلك - دراسة تطبيقية - وذلك من خلال دراسة ميدانية لتعلم مدى تأثير الدعوتين على الجمهور على الجمهور والله المستعان .

**الكلمات مفتاحية:** الابتكار . النجاح - الإخفاق - آداب . جدد.

**Success factors of specialized academic advocacy**

**Between theory and practice**

**Ibrahim Ali Ahmed Mohammed**

**Department of Islamic Culture – Faculty of Islamic  
Call in Cairo – Al–Azhar University – Egypt .**

**Email : [ibrahemali.2013@azhar.edu.eg](mailto:ibrahemali.2013@azhar.edu.eg)**

**Abstract :**

**This research examines how to promote the call to God Almighty by mentioning the factors of success of the specialized academic call, and those factors include innovation in the call and creativity in it, investing the impact of the Holy Revelation, the approval of the instinct of religion, adopting the method of the Qur'an in the call, highlighting some of the techniques that the preacher should follow for the success of his call from the tools to attract the public, and the reasons for that, then talk about the factors of failure of the call and avoid it, including the discourse that does not touch reality and its problems, and transportation without taking into account the correctness, logical and others, and hadith About the etiquette of the preacher, which**



should be activated to bear fruit, including non-condescension and arrogance, no matter how much the preacher knows, and responding to the observations of the public and others, all compared to the so-called phenomenon of new preachers, each art has its men, and respect for specialization is a religious duty, all of this is an applied study through a field study to know the extent of the impact of the two calls on the public on the public and God is the helper.

**Keywords:** Innovation success – Failure – New etiquette.

## مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.....وبعد؛

فإن دور الداعية في هذا العصر أشد خطورة من أي وقت مضى، فقد اقترب الزمان، واشتدت الفتن وظهر الفساد، وظهر الزنا، وكثر الهرج، وفشي الجهل، وظهر الإلحاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ودور الداعي أن يحيي هؤلاء الناس بالأخلاق، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن حتى تكون الدعوة إلى الله تعالى مؤثرة، فهي تحتاج أن تخرج من تلك النمطية المعهودة في الحديث إلى شيء من الابتكار، فالدعوة كسائر الفنون ينبغي أن تعرف قواعدها وتطبق حتى يكون للخطاب الدعوي أثر كبير على تغيير سلوك الناس، فإذا كان الخطاب الدعوي يؤدي بشكل صحيح وفيه ابداع، وتغلب الداعية على الأكاديمية بمخاطبة الناس بلغة سهلة وطريقة مبتكرة أتى ثماره، وإلا عاش وكأنه في جزيرة منعزلة عن الناس، ولا سبيل لذلك إلا بإعادة هيكلة الخطاب الدعوي بما يتناسب ومعطيات الواقع، ويتلاءم ومتطلبات العصر.

والدعوة بحاجة إلى استخلاص جيل من القادرين على تحمل هذه التبعة ولها من الأثر والأجر الكبير عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله (ﷺ): ( فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية (٣٢) .

(٢) رواه البخاري، كتاب: مناقب الصحابة. باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن (رضي الله عنه)، ج ٣ ص ١٣٥٧ .

إن تغيير سلوك الناس إلى الأفضل غاية مأمولة، وليس ذلك بكثرة الكلام دون فنه، فلو كان تغيير الناس بكثرة الكلام لكان الناس الآن ملائكة تمشي على الأرض، فما أكثر الخطب والدروس، ولكن نرى العكس تماما من انحدار السلوك الإنساني وكأنهما يتناسبان تناسباً طردياً، فأين الخلل إذا؟ هل هو في المرسل؟ أم في المستقبل؟ ينبغي دراسة هذه الحالة، فإن فن الكلمة يحتاج منا لدراسة عميقة، وكذلك دراسة الزمن الذي نحن فيه، واللغة المناسبة التي تناسب المستمع.

إن الخطاب الديني فن، والدعوة صنعة، ولها أدواتها التي تشبه الأدوات التي يمتلكها الحائك، فيستخرج من قماش مادته ثوبا قشيبا مطرزا بالملح والدقائق العلمية.

والداعية يحتاج إلى رفع مستواه الدعوي، وإجادة فن الدعوة بالإضافة إلى الإبداع والتلوين. فالدعوة الأكاديمية أشبه بالمواد الخام التي يلزمها أن تحاك من جديد بأدوات الفهم التي يمتلكها العالم كما يصنع المحترف مع المادة الخام فيحولها إلى صناعة جميلة، أو خلطة من الدواء الشافي بعلم ومعرفة ودراسة.

إن الكلمة إذا خرجت حية أحييت من سمعها، لاسيما كلمات الوحي الكريم فهي الروح، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup>، وبها حياة الناس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

إن الدعوة هدف ورسالة، ويحمل همها الداعية ليصل بها إلى الناس لهدايتهم لا لمجرد الظهور والشهرة، وقد كان النبي (ﷺ) يحمل هم المدعويين ويكاد يهلك نفسه أسفاً لعدم إيمانهم، قال تعالى: ﴿لَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَٰلِكَ أَلْحَدِيثِ أَسْفًا ﴿٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يزيد من مسؤولية الداعية مزاحمته من قبل الدعاة الجدد، حين خلقوا دعوة موازية، فحدث نوع من التشويش على الناس، فاكسب الدعاة الهواة جمهوراً من المتابعين ربما رغبة في التغيير، أو ربما لمخاطبة الناس بلغة سهلة، أو نوع من الفضول؟ فربما يكون هذا أو ذلك.

لكن على كل حال فظاهرة الدعاة الهواة أو ما يطلق عليهم بالدعاة غير المختصين الجدد أدى إلى شرخ في السلوك من خلال التشدد في الدين تارة، أو النزول به إلى درجة من الهبوط أخرى.

إن التشويش لدى الدعاة الهواة أدى إلى عدم اكتمال الرؤية وهذا من علامات آخر الزمان: فعن أبي ذر (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ) قال: (إنكم في زمان علماؤه كثير، خطباؤه قليل، من ترك فيه عشير ما يعلم هوى، أو قال: هلك، وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعشير ما يعلم نجا)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الشعراء، الآية (٣).

(٢) سورة الكهف، الآية (٦). لعل الفاء الزائدة في الآية الثانية من سورة الكهف تحمل عتاباً رقيقاً أي أما زلت يا محمد مستمراً في حزنك على قومك فهذا مما لم تكلف به.

(٣) رواه الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، حديث أبي ذر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، ج ٣٥ ص ٢٩٩. جاء في مجمع الزوائد وفيه رجل لم يسم ٢/٢٧٠. فهذا إسناد ضعيف فيه جهالة، ومؤمل بن إسماعيل ضعيف، وحمام هو ابن سلمة، وإن كان الواقع يؤد تلك الحقيقة ففيها كشف عن واقع الزمان.



إن هذا الفن له أهله يحتاج إلى أدوات للاستنباط بالضرب في النص، واستخراج الأحكام بما يناسب العصر، وهذا ليس لكل أحد فلا يمكن لحائك أن يخطط دون التعلم والتدريب على ذلك كذلك العلم، فقماشته موجودة لكن لن يستطيع استنباط الحكم والفتوى أي أحد.

فالعالم المختص هو الذي يطحن المسائل ليستخرج الحكم بعد جمعه للأدلة ما بين محكم ومتشابه، ومجمل ومفصل وبما معه من أدوات الآلة التي يحفر بها في النص، فيستخرج من تربته الثمرة، وهو مع ذلك على الظن يقول والله أعلم، فما بالناس بما لم يدرس ولم يتخصص.

إن النص موجود ولكن ليس كل إنسان يحسن الحرث، فالحائك لا بد له من مراس، وأدوات ولذلك يموت العلم بموت الخبير به مع كينونته في الكتب عن أبي أمامة، عن رسول الله (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ». قَالُوا: وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: «تَكَلَّمْتُمْ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْلَمْ تَكُنِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمْ شَيْئًا؟ إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلْتُهُ، إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلْتُهُ» (١).

إن التخصص مطلوب، وتغير الزمان جعل الناس يتخصصون حتى في فروع الدين وبدأت بعهد عمر (رضي الله عنه) ملامح تلك التخصصية في فصله القضاء عن الإمامة "وإنما كانوا يقدون القضاء لغيرهم وإن كان مما يتعلق بهم، لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالها" (٢).

(١) مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م، باب: ذهاب العلم، ج ١ ص ٣٠٢، وقال المحقق الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٥٦٧.

ومن ثم استحدث بعد ذلك فصل بين فروع الدين مجتمعة، وصار هناك تخصص في كل فرع من فروع هذا العلم الكريم.

إن ضرورات العصر اقتضت أن يكون لكل فن رجاله المؤهلين ممن اجتهدوا وأجادوا وذلك بطحن المسائل، والتدريب على فنون القول، واستخدام الوسائل التي تخدم الدعوة من العوامل الحديثة المؤثرة من وسائل العرض البصرية ليواكب العصر في سرعته، فالحياة لا تنتظر أحداً.

صحيح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متاح لكل مؤمن في حدود علمه، ولكن يتصدى لدقائق العلم، والفتوى المختصون.

لذا ينبغي أن يصاحب الدعوة ابتكاراً في فن الدعوة، فالتطوير، والإبداع، والنفاذ إلى جوهر الموضوع، وفلسفته بمثابة حجر يحرك الماء الراكد، فيتغير الآسن، ويصفو المنكدر.

والأذن إذا اعتادت على لغة واحدة سئمت الخطاب الديني، وأعرضت عن السماع، ولذلك كان لابد من التفكير في أسلوب جديد للدعوة يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فتخرج الكلمة جديدة كأنها حديثة عهد بربها، وكأنها نزلت للتو واللحظة، فالوقائع الحياتية كثيرة ومستمرة ومتجددة، فلو جعلناها أشبه بأسباب النزول، فيبدأ الخطيب بها، ثم يسقط عليها النص، كأنه حديث عهد بربه، فيحيي ويشفي.

إن النجاح متاح لمن جد في الدعوة، وأكبر خدعة وقع فيها بعض الدعاة اعتذارهم بضعف الدخل المادي، وقد خبرتنا الأيام أنه ما من صاحب رسالة يؤمن بها ويجتهد في تطويرها، ويبذل فيها إلا ورزقه الله منها الرزق الوفير، وفتح له منها من أبواب الرزق وزيادة.

إننا في حاجة لإلقاء نظرة على هذا الفن وتطويره، وقد قدمت هذه الورقات لعلّي أسهم بشيء من ذلك تطورا للإعلام الجديد، وهذه خطوة ربما تلففها دعاة آخرون وساروا بها خطوات، والله الموفق والمستعان.

### أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- تعاظم ظاهرة الدعاة الهواة على وسائل التواصل الاجتماعي، والتفاف بعض الناس حولهم مما أدى إلى التشدد في بعض المسائل أو الإفراط فيها.
- ٢- تحسين الأداء الخطابي لدى الدعاة، ليحسن السلوك، وتستقيم الحياة.
- ٣- جذب السامع من خلال التطوير والابداع في الدعوة.
- ٤- كثرة الفتن والإلحاد، وظهور المعاصي والجرأة على الحدود.

### المسح الأدبي:

هناك الكثير من كتب الدعوة إلى الله تعالى لكن الباحث لم يقف على بحث يحمل ذات العنوان، وإن كانت معالجة قضايا الدعوة، منشورة في كتب كثيرة منها على سبيل المثال: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، د/ رؤوف شلبي، ط/ ٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار القلم، الكويت، وكذلك الدعوة في عهدها المدني مناهجها وغاياتها ط: دار القلم أيضا.

الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، ص ١٧، ط/ ١، ١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية، القاهرة .

الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د/ عبدالله شحاتة، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قضية الثبات والتطور في منهج الدعوة إلى الله دراسة استقرائية  
تأصيلية، د/ ناصر بن إبراهيم بن ناصر، المدينة المنورة.

إعداد الداعية وأثره في تبليغ الدعوة دراسة منهجية، د/ محمد عبد  
المولي جمعة كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

الدعاة المستنسخون. د/ محمد عوض صالح.

فقه الدعوة إلى الله تعالى عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط:  
دار القلم وغيرها من كتب الدعوة الأخرى.

وقد نحا الباحث في بحثه منحى آخر ركز فيه على عوامل النهوض  
بالدعوة وعوامل إخفاقها مقارنة بالدعاة الجدد دراسة تطبيقية من خلال  
البحث الميداني لقياس مدى نجاح الدعوة إلى الله تعالى.

### منهج البحث:

#### يستنير الباحث بمنهج البحث العلمي التالي:

أولاً: المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي نقوم في ضوءه (باسترداد  
الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج  
المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية) (١).

ثانياً: المنهج التحليلي: وهو المنهج الذي في ضوءه نستعرض ظاهرة  
من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر، بقصد تشخيصها، وكشف جوانبها،  
وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى، وهو لا يقف عند  
حدود وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن

(١) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٦٨، ١٩٦٣م، دار النهضة العربية،  
مصر.

ويقيم بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى بقصد التبصر بتلك الظاهرة<sup>(١)</sup>، والظاهرة هنا هي عوامل نجاح الدعاة إلى الله تعالى .

**ثالثاً: المنهج الاستنباطي:** وفي ضوء هذا المنهج نقوم بحصر الحقائق العامة، وتصنيفها، وترتيبها، ثم الاستنباط من ذلك<sup>(٢)</sup>، فيدخل في هذا استنباط الحجج والاستدلالات العقلية من النصوص والروايات والأخبار.

**رابعاً: الدراسة الميدانية وهي:** استبيان آراء الناس من خلال دراسة ميدانية لإظهار آرائهم حول منسوب نجاح الدعاة باعتبارهم الجمهور المتأثر.

**أما خطوات المنهج فتتمثل فيما يلي:**

- ١- تتبع النصوص القرآنية مع عزو الآيات إلى مواطنها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٢- تتبع النصوص النبوية مع تخريج الأحاديث والحكم على ما ورد في غير الصحيحين.
- ٣- ذكر أشهر أقوال العلماء المتعلقة بالموضوع.
- ٤- أختتم بأهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

(١) مقدمة في منهج البحث العلمي، د/ رحيم العزاوي، ص ٩٧، ط/١، الأردن: دار دجلة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢) قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، ص ٧١ بتصرف .

### خطة البحث:

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كما يلي:

**المبحث الأول:** الدعوة الأكاديمية وعوامل النهوض بها.

**المبحث الثاني:** الدعوة الموازية ظاهرة الدعاة الجدد.

**المبحث الثالث:** الدراسة الميدانية.



## تحديد مصطلحات البحث

ويتضمن التعريف بمفردات عنوان البحث..

فيحسن كما هي سنة الباحثين في الدرس والتناول أن نبدأ بتطوافة في بساتين كتب اللغة؛ لنقف على موجز لمعنى كلمة دعوة في لغة العرب ثم بيان معناهما الاصطلاحي.

## مفهوم الدعوة

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدعوة:

الدعوة مأخوذة من الدعاء، وهو النداء لجمع الناس على أمر ما، وحثهم على العمل به، ومنه قوله (ﷺ) في كتابه إلى هرقل: (أدعوك بدعاية الإسلام)، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَقْوُوا مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>.

و(دَعَاهُ) صَاحَ بِهِ وَ(دَاعِيَهُ) اللَّبَنُ مَا يُتْرَكُ فِي الضَّرْعِ لِيَدْعُوَ مَا بَعْدَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَدَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَرَغِبْتُ فِيهَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَدَعَوْتُ زَيْدًا نَادِيَتُهُ، وَطَلَبْتُ إِقْبَالَهُ وَدَعَا الْمُؤَدَّنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ دَاعِي اللَّهِ، وَالْجَمْعُ دُعَاةٌ وَدَاعُونَ مِثْلُ: قَاضٍ وَقَضَاةٌ وَقَاضُونَ، وَالنَّبِيُّ دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَدَعَوْتُ الْوَلَدَ زَيْدًا وَيَزِيدٌ إِذَا سَمَّيْتَهُ بِهَذَا الْإِسْمِ<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة غافر، الآية (٤١).

(٢) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: ٥٦٦هـ). المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج ١ ص ١٠٥.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفي: نحو ٧٧٠هـ)، ط. المكتبة العلمية، بيروت، ج ١ ص ١٩٤.

والدعوة بمعنى الاستغاثة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: يَقُولُ ادْعُوا مَنْ اسْتَدْعَيْتُمْ طَاعَتَهُ، وَرَجَوْتُمْ مَعُونَتَهُ فِي الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَقُولُ: آلِهَتِكُمْ، يَقُولُ اسْتَنْعَيْتُوا بِهِمْ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ إِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ خَالِيًا فَادْعُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعْنَاهُ اسْتَنْعَيْتَ بِالْمُسْلِمِينَ، فَالِدُّعَاءُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْإِسْتِغَاثَةِ<sup>(٢)</sup>

والخلاصة: أن الدعوة تعني النداء، ويختلف معناها باختلاف المدعو فإذا كان المدعو الله تعالى تسمى ابتهالا، وإذا كان الولد كانت بمعنى الأمر، وإذا كانت لفرد، أو جماعة من الناس فهي بمعنى النداء والتنبية والحث وقد ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم بهذا المعنى وهو التبليغ والبيان، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذَا سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعريف الاصطلاحي للدعوة:

الدعوة في الاصطلاح هي: تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس وبيانها لهم، وتعليمها إياهم، حتى تكون واقعا مطبقا في الحياة (فهي عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط)<sup>(٤)</sup>.

وقيل هي: ( العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيّة المتعددة

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣).

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفي: ٧١١هـ)، ط. دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ط. المكتبة العلمية، بيروت، ج ١٤ ص ٢٦٠.

(٣) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

(٤) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، د/ رؤوف شليبي، ص ٣٢، ط/ ٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار القلم، الكويت.



الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق) (١).  
والدعوة إلى الله فَرَضَ عَيْنَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ثم العلماء  
الذين فقهوا دين الله، ووقفوا على أحكامه، وتعرفوا على شرائعه والهدف  
منها هو: إنقاذ الناس من ضلالة، أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر  
يخشى عليهم الوقوع في بأسه) (٢).

وهناك نوع ثان من الدعوة: وهو تعاون جميع أفراد الأمة فيما بينهم  
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو حق لدى جميع المسلمين،  
وهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع، وأما إن  
تفاعدت الأمة عن التناصح فيما بينها، فإن الجميع مسؤولون ويأثمون  
على هذا التقاعس قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣). وقال تعالى:  
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (٤) وفي الآية: أطلق مسمى الإيمان على من قام  
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن لم يقم به لا يستحق أن يكون  
من المؤمنين .

(١) الدعوة إلى الله، دراسة نصية تحليلية، د/ الشاذلي، ص ٢٢، ونسب هذا التعريف للدكتور  
أحمد غلوش .

(٢) الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، ص ١٧، ط/ ١، ١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية،  
القاهرة .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤) .

(٤) سورة التوبة، الآية (٧١) .

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(١)</sup> وهذه الآية شددت على المقصرين بشأن الدعوة إلى الله، وعللت استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر، بل واستحقاقهم للعذاب فعن حذيفة بن اليمان أن النبي (ﷺ) قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)<sup>(٢)</sup> .

وأجر الداعية كبير، قال رسول الله (ﷺ): (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)<sup>(٣)</sup>

وذلك للصبر على تحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله: فطريق الدعوة إلى الله ليس مفروشا بالرياحين، ولا بد فيه من الابتلاء وقد قال ورقة بن نوفل للنبي (ﷺ): (فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله (ﷺ) أو مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا)<sup>(٤)</sup>

(١) سورة المائدة، الآيتان (٧٨، ٧٩) .

(٢) رواه الإمام الترمذي ك: الفتن باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج٤ ص: ٤٦٨ ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، وقال حديث حسن .

(٣) رواه الإمام مسلم ك: العلم باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ج٤ ص: ٢٠٦ ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) رواه الإمام البخاري كتاب: التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ج٦ ص٢٥٦ ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .

هذا وسوف أتناول مبحثين هما: الدعوة الأكاديمية وعوامل نجاحها، والدعوة الموازية" وهي ظاهرة الدعاة الجدد وقد قصدت بالدعاة الجدد الوعاظ غير المختصين من خريجي الكليات غير الشرعية، والذين أخذوا علومهم من الكتب مباشرة، أو من شيخ أخذ العلوم من الكتب مباشرة أيضا وهكذا ثم يتبع ذلك دراسة ميدانية كما سيأتي.







**المبحث الأول**  
**الدعوة الأكاديمية**  
**وعوامل النهوض بها**



## المبحث الأول

## الدعوة الأكاديمية وعوامل النهوض بها

أكاديمية جمع أكاديميات وهي: "مدرسة فلسفية أسسها أفلاطون في بساتين أكاديموس في أثينا وتطلق على مدرسة عليا أو معهد متخصص وتتألف من هيئة علمية تتألف من كبار العلماء أو الأدباء والمفكرين كالأكاديمية الفرنسية في باريس وأكاديمي هو عضو من أعضاء مجمع علمي أو أدبي أو مدرس جامعي. متميز بالجديّة والغزارة العلميّة" (١).

وأعني بها هنا رجال الدعوة المختصين في المجال، فلا بد من صاحب التخصص حتى تنجح دعوته لكن ينبغي أن تكون بلغة سهلة قوية فصيحة تستحوذ على الانتباه، وتكون بعيدة عن الرتابة والتكرار، فحين يبدأ الداعية حديثه مع الناس فإنه يتحد مع الجمهور، ويصحبوه في رحلته الحديثية، فينبغي ألا يفلتهم منه بالتكرار، أو بعدم إضافة جديد، أو أن تكون فكرته غير واضحة، أو ألا تمس واقعهم مع استخدام المواجهة الكاملة، والتواصل البصري اعترافا بالطرف الآخر (والدليل على توحيد الجمهور مع الخطيب هو أنك حين يرى الجمهور توتر الداعية، فستنتابه في الغالب حالة مشابهة من التوتر كنوع من مشاطرة المشاعر للآخرين، وتلك هي قوة الإحساس المتبادل بالآخرين، وهي نتيجة للوحدات العصبية العاكسة) (٢).

وسوف أذكر في هذا المبحث ثلاثة مطالب للنهوض بالدعوة في السطور التالية.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل . ط. عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ١ ص ١٠٥.  
(٢) الخطيب القوي، جيري وايزمان، ص ٨٤، ط. مكتبة جبر، ٢٠١١م.

## المطلب الأول

### عوامل نجاح الداعية

إن تغيير الناس أمر ممكن، ولو نظرنا إلى التاريخ لوجدنا أن أفراداً لم يغيروا سلوك الناس فقط بل قد أدخلوا تعديلات جذرية على بعض الديانات، ونجحوا في ذلك، ووجدوا لهم أتباعاً، ومصدقين مثل بولس النصارى، وعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أدخل بدعة التشيع وهم على ما فيه من عدم المعقولية والمنطق إلا أن الدعوة وجدت لها أتباعاً، إذا فتغير الناس أمر ممكن، فيمكن للفرد أن يغير أمة لا سيما إذا ما كان يدعو إليه هو الحق المبين.

وليعلم الداعية أن كثيراً من أصحاب الهمم والإبداع بحثوا طويلاً عن التميز حتى وجدوه، ولا بأس من تقليد بعض المبدعين في البدايات حتى يجد الداعية لنفسه شخصية مستقلة يمتطيها، ومن الخطأ أن تقارن نفسك بغيرك، فكل واحد بصمته وإبداعه، ولكن قارن نفسك بنفسك عما أحرزت اليوم من تقدم عن الأمس.

وقد قال التاريخ أن قدر الإنسان بقدرته على الإقناع، فيبلغ المنازل، فالمهرة من الخطباء يتبوؤون المكانة (ولقد كانت قدرة أوباما على الحديث عن التغيير هي التي دفعته لأن يتحول من صفوف المغامير إلى أن يكون نجماً بازغاً، ومن منافس ضعيف إلى مرشح، ومن مرشح إلى فائز في الانتخابات) (١).

ولابد من وضوح ثلاثة عناصر للداعية قبل البدء في الخطبة، أو الدرس وهي: أن تكون عناصر الموضوع واضحة جداً في ذهن الداعية

(١) الخطيب القوي، جيري وايزمان، ص ١٩١، ط. مكتبة جرير، ٢٠١١ م.



ومنسقة يؤدي أحدها للآخر حتى لا ينفصم عنك المستمع ثانياً: تحديد الهدف من الموضوع بصورة واضحة مع الإعلان عنه في الخطبة أو الدرس ثالثاً: لا بد وأن تكون اللغة جيدة تعبر عن موضوعه بوضوح وبليغة أيضاً فالبلاغة من أسباب جذب المستمع، وهذه بعض عوامل نجاح الداعية.

### ١- الابتكار والإبداع في الدعوة إلى الله تعالى:

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج أن تخرج من تلك النمطية المعهودة في الحديث إلى شيء من الابتكار، فالداعية إذا لم يجدد نفسه بالتحديث والابتكار والتطوير من خلال النظر والفكر فسوف يلزم حالة واحدة، ويفوته الزمن، ولا ينتفع الناس به، والذي سيساعده على الطاقة الإبداعية والتجدد أن فيه نفخة من روح الله، تلك النفخة هي التي تحقق له الطاقة الإبداعية التي قد لا يلتفت إليها، ولو نمت نفسه، واستنطق الخيال، واستثار الإبداع لوجد أنه يصنع العجائب، فحذار من استصغار النفس، ولقد دعا الإسلام إلى الإبداع بإعمال العقل والاستنباط، والتفكير في آيات الله، والإبداع ما هو إلا إنشاء على غير مثال سابق، وإيجاد شيء غير مسبق، فالمبدع هو الشخص القادر على الخروج من المألوف، ويتولد ذلك من العصف الذهني الذي من شأنه أن يولد مزيداً من الأفكار، ولا بد أن يكون الإبداع داخل نطاق المعقول والشرع، ولا يمكن لأحد أن ينهض إلا من خلال تحرير عقله من أسر الطريقة الواحدة، والنموذج الصارم، والفكرة المكررة.

وقد تساءلت كثيراً عن سر عدم تغيير سلوك الناس على مدى ذلك التاريخ مع كثرة الدروس والخطب الأسبوعية، فوجدت أنه ربما يكون أحد

أسبابه وراثته النمط الواحد في الأداء، وعدم الإبداع والابتكار في الفكرة، وإيصال المعلومة بطريقة جديدة.

إن الابتكار والتجديد سبب رئيس من أسباب النجاح، وهو التوصل إلى وسيلة جديدة غير مألوفة لتحقيق الهدف، وغالباً ما تصاب الدعوة التقليدية بالفشل، إذ إن عنصر الابتكار واستحداث أفكار ورؤى جديدة يستهوي المدعويين، فيزيد الإقبال على الداعية، ومن المعلوم أن الأداء الروتيني يفقد الداعية بعض أتباعه، كما أنه يحرمه أتباعاً جديداً، ولكنه بمجرد إدخال تغييرات بسيطة في طريقة دعوته، أو فتح باباً جديداً لتطوير عرضه من شأنه أن يكتسب مدعويين جديداً، فلا بد من زيادة القدرة على توليد الأفكار وتطوير المهارات، وإمكانية تطبيق تلك الأفكار وتنزيلها على أرض الواقع، وينبغي أن يعمل الإنسان عقلة وفكره ليستحدث وسيلة أو أسلوباً جديداً يجمع بها قلوب الناس على دين الله، ويحبب الناس في ربهم ورسولهم، ويعلمهم بها دينهم لذا فلا بد من التفكير وإعمال القدرة الإبداعية لإيجاد الأفكار الخلاقة فهي وسيلته للنجاح، وسوف يساعده الوحي في ذلك بما له من الأثر الأخاذ في النفوس، وقد رأيت أن أحد طرق الإبداع هو عرض الموضوع بطريقة جديدة فيها جذب وتشويق .

إن الإسلام يدعو إلى الإبداع، ويحث عليه، قال (ﷺ): (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء) (١) .

(١) رواه مسلم ك: الزكاة باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة وأنها حجاب

فكل اختراع أو إبداع حث عليه الشرع هو ابتداع محمود ومحثوث عليه طالما فيه خير للبشرية، فينبغي أن نتخلق بخلق الله تعالى وهو البديع سبحانه قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

يقول الإمام الرازي: (الإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثالي، ولذلك فإن من أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه غيره فيها، يُقال: إنه أبدع فيه) (٢). وهذه بعض الأمثلة من ابداع القرآن الكريم والسنة النبوية.

#### أولاً: الإبداع في نظم القرآن الكريم:

القرآن الكريم علمنا الإبداع، فمن إبداع القرآن الكريم مثلا الرسم القرآني حيث جاء بطريقة لم يعهدها الناس في الرسم، وهي وضع حروف مقطعة قبل بعض السور كنوع من التنبيه، ولفت الانتباه، واستدعاء الفكر، ولم يكن هذا مألوا بينهم في الكتابة.

وكذلك الأحرف السبعة من الإمالة، والتقليل وغيرها وكذلك تلوين الأساليب القرآنية في بنية الكلمة الواحدة من الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والهدف منه إضافة معنى جديدا للآية الكريمة.

(١) سورة البقرة، الآية (١١٧).

(٢) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي === === خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ ج ١٣ ص ٩٢.

### ثانياً: الإبداع في السنة النبوية:

وقد علمنا النبي (ﷺ) الإبداع أيضاً حيث أبدع في طرحه فتارة يدخل السكّنة اللطيفة على رأس السؤال لشد الانتباه عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال :

بينما أنا رديف النبي (ﷺ) ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل فقال (يا معاذ). قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال (يا معاذ). قلت لبيك رسول الله وسعديك قال (هل تدري ما حق الله على عباده). قلت الله ورسوله أعلم قال (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً). ثم سار ساعة ثم قال (يا معاذ بن جبل). قلت لبيك رسول الله وسعديك فقال (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه). قلت الله ورسوله أعلم قال (حق العباد على الله أن لا يعذبهم) <sup>(١)</sup> وتارة يلغز في حديثه فيسأل عن الشجرة التي لا يسقط ورقها وهي كالمؤمن ليستجمع الانتباه عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ) (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي) . فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال (هي النخلة) <sup>(٢)</sup> .

(وكذلك الصورة التي فرضت بها الصلوات الخمس في رحلة المعراج كان فيها إبداع يفى بالهدف وهو استشعار التخفيف من الله تعالى، وكان يمكن أن تفرض خمساً بدايةً، ولكن لكي نشعر بالمنة والرحمة من الله تعالى فقد جاء في آخر المطاف "فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت

(١) رواه البخاري، كتاب: اللباس، باب: باب إرداف الرجل خلف الرجل، ج ٥ ص ٢٢٢٤ .

(٢) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا ، ج ١ ص ٣٤ .

إلى موسى فقال بما أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) (١).

وقد أبداع بعض الصحابة في السؤال كحذيفة ابن اليمان (رضي الله عنه) حين قال: (كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟.....(الحديث) (٢).

وهنا نلفت إلى أن حذيفة بن اليمان نظر إلى المؤلف بصورة غير مألوفة، وهدهد الله تعالى إلى تفكير ابتكاري، فكرة جديدة لها ثمارها، فإذا كان الصحابة قد ألقوا السؤال عن الخير والإيجابية، لينالوا الخير ويحرصوا عليه فلماذا لا يقف حذيفة من رسول الله (ﷺ) على مواقع الشر والغواية، ليحذر منها حذيفة، ويحذر منها أصحابه، وهنا يتعلم الداعية ويطلق العنان لخياله ماذا سيبتكر في خطبة اليوم، فتغيير بسيط في طريقة أداء خطبته سوف يجعل الناس يقبلون عليه.

ولاشك أن الإبداع لا بد معه من ضبط قواعد فهم الكتاب والسنة، والتي منها جمع النصوص في الموضوع الواحد، ورد المتشابه إلى المحكم، وعدم القول بالنسخ أو التأويل إلا بدليل وبرهان وقرينة، والاطلاع على العلوم المنطقية كالأصول، والمنطق، والقواعد الفقهية، فمن لم يكن

(١) رواه البخاري، كتاب: السامة في الجاهلية، باب: المعراج، ج ٦ ص ٢٥٩٥ .

(٢) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ج ٣ ص ١٤١٠ .

لما بتلك المعرفة لعبت به الكتب، ففيها الاختلاف والتنوع، فلا بد فيها من متمرس.

**ومثال ذلك:** عند الحديث عن الجنة مثلاً نسمع الوصف العام لما في الجنة ولا نتعداه فلماذا لا نبتكر طريقة أخرى في الحديث عن الجنة كأن نقول لماذا التكرار في القرآن عن الحديث عن الجنة، ثم نذكر أن هذا نموا وليس تكرارا ففي كل مرة يأتي بلمحة جديدة ونعدد تلك اللمحات ونختتم الحديث بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) وكل الوصف السابق نوع من التقريب وإنما حباننا الله نعيما لا يعلمه إلا هو فيسرح الناس بخيالهم في تلك الصورة .

## ٢- استثمار قوة تأثير كلمات الوحي الكريم:

إن نصوص القرآن والسنة بمثابة الروح التي لو نفخت في النفوس أحييت ومن ذلك حديث النبي (ﷺ) "وَأَنَّ اللَّهَ أَمْرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَتَلَفَّتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ" (٢) فاستشعار العبد إقبال الله عليه يجعل صلاته فيها حياة لأنه سيخشع فيها، فينبغي أن يستغل الداعية هذا التأثير الصوفي الكبير في جل النصوص الدينية تزامنا مع الفطرة المركوزة في الناس وإيقاظها من خلال الدعوة، فالإسلام ينتشر وحده لفطرة الناس التي تحمل هذا الدين لكنها

(١) سورة السجدة، الآية (١٧) .

(٢) رواه الترمذي، كتاب: الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، ج٤ ص٤٤٥ تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَارِثِيُّ الْأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الْحَدِيثِ..

تحتاج لهاد مخلص بارع مبدع يفجر الحياة في هذه الأرض الخسبة،  
فينبت الإيمان فيها ويحيي الموات.

وتأثير الكلمة في العموم جد خطير فـ «إن من البيان لسحراً»<sup>(١)</sup>.

فالكلمة تسوق الناس إلي حيث يريد القائل مسحورين بها، وتأمل  
عبارات عمرو بن الأهتم حين اعتذر عن تغيير كلامه للزبرقان من المدح  
إلى القدح قال: (ما كذبت أولاً ولقد صدقت أخراً ولكني رضيت فقلت أحسن  
ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت فقال النبي ﷺ): إن من البيان  
لسحراً و إن من الشعر لحكماً<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا في لسان الناس فما بالناس بكلمة الوحي قال تعالى:  
﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ  
لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُّصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ  
﴿ ٢١ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ  
كُلِّمَ بِهِ الْمَوْقِفُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾<sup>(٥)</sup> فينبغي استثمار هذا التأثير في تغيير  
الناس.

(١) رواه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الخطبة، ج ٧ ص ١٩.

(٢) رواه الحاكم، كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر عمرو بن الأهتم المنقري ﷺ، ج ٣ ص ٧١، ط. دار  
الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

وأصل الحديث في صحيح البخاري .

(٣) سورة المزمل، الآية (٥).

(٤) سورة الحشر، الآية (٢١).

(٥) سورة الرعد، الآية (٣١).

فالإسلام صبغة الله الذي لا ينزع من الإنسان البتة فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله (ﷺ) وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) (١).

إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وارتباطهم بها ارتباط عضوي لا ينفصم عنهم، فينبغي أن تستغل تلك العاطفة الدينية في التأثير على تغيير سلوك الناس، فكلمة الوحي كائن حي إن خرجت أحييت من سمعها، لاسيما كلمات الوحي الكريم، ولذلك سمي الله الشرع روحا يحيا به الناس قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٣).

وقد سماه الله تعالى نوراً وقد جمعت الآية الكريمة الشيين معاً، فقال تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

(١) رواه البخاري، كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ج ٦ ص ٢٥٤٦.

(٢) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).



والإنسان يقبل الدين لأنه فطر عليه وصبغ به، قال تعالى: ﴿صَبَّغَهُ

اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ (١)

### ٣- تبني طريقة القرآن الكريم في الدعوة:

إن من طريقة القرآن في الدعوة ما يسمى بالبديهييات في القرآن الكريم وهو أن يذكر القرآن شيئاً مفهوماً لكل ذي عقل لحكمة ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحْذَرِ صَيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (٢) وذلك حتى يرفع باب المجاز وأن العدد مقصود لذاته دون زيادة أو نقصان وتطبيقاته العملية ألا يغفل الداعية ما بين السطور اعتماداً على فهم العامة، فمنهم من يحتاج إلى إيضاح الفكرة حتى لو كانت من البديهييات.

ومنها التأثير العاطفي، والخطاب العقلي، والمزج بينهما في أسلوب رشيق، والإنسان يحتاج للأقبال على الدعوة إلى مخاطبة العقل والروح معا، فالإقناع وحده قد لا يكفي ولكن يحتاج الإنسان لخطوة أخرى تدفعه نحو العمل وهي مخاطبة روحه، وهذه هي طريقة القرآن في مخاطبة النفس والإنسانية فنجد القرآن يخاطب النفس كلها حتى في أحكام القصاص والقتل، فيحدث نوعاً من التوازن النفسي بما يشبه خلطة دوائية بمقادير معينة تشفي الروح، فيخاطب عواطف النفس البشرية بالحب والخوف والرجاء.

فحين يخاطب القرآن الكريم الناس يخاطب جميع ملكاتهم فيخاطب عقولهم وأرواحهم معاً ويبدأ بالعقيدة ثم التشريع مصحوباً بالأخلاق وقد حكي

(١) سورة البقرة، الآية (١٣٨). (٢) سورة البقرة، الآية (١٩٦).

لنا القرآن الكريم صوراً كثيرة من دعوة الرسل وأفراد الناس في جمعه بين مخاطبة العقل ومخاطبة المشاعر.

ومنها الإيجاز والبدء بالعقيدة وبأسلوب جديد ثم الحكمة من التشريع والنفاز إلى علته كل ذلك مرتبطاً بالأخلاق، وطريقة القرآن في الترتيب تقديم الرجاء على الخوف، قال الله (ﷻ): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾<sup>(١)</sup>

ومنها أننا نجد أن القرآن الكريم راعى البيئة ففي غالب الآيات المكية أنها قصيرة وغالبها يتحدث عن العقيدة بخلاف الآيات المدنية غالبها طويلة وتحدث عن التشريع فنراعي ذلك في البيئات المختلفة.

ومنها التوازن بين الخوف والرجاء فاللافت أن الفكر القديم مبثوث في بعض الناس فتجد عند بعضهم نوعاً من الارحاء فيؤخر الاعمال الصالحة اعتماداً على رحمة الله (ﷻ)، وهناك من يتطرف فيها فيتشدد وهذا بقية من أهل الاعتزال والخوارج الذين يرون خلود أصحاب الكبيرة في النار والسؤال هل يسوق الداعية الناس إلى الله (ﷻ) بالخوف تماشياً مع عقيدة أهل الاعتزال والخوارج أو بالرجاء تماشياً مع المرجئة أم بالمحبة والحقيقة التوازن في ذلك جيد ومطلوب، عن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)<sup>(٢)</sup>. لكن الترتيب في رأيي أن يكون بتلك المنهجية فيبدأ بالمحبة فيحبب الداعية الله تعالى

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج ٨ ص ٩٧.

إلى عباده ثم بجناحي الوجد الرجاء والخوف، فطريقة الدعاة ينبغي أن تنطلق من حب الله تعالى فيحسب الله إلى خلقه وهو أهل للحب سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup> فإن ظهر فيهم حب الله تعالى قبلوا منك ما تقول (فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها)<sup>(٢)</sup> .

(ولا يكون مؤنباً للناس على طول الطريق ومن الفروق بين الناصح والمؤنب أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته وقال قد وقع أجرى على الله قبلت أو لم تقبل ويدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس والمؤنب بعد ذلك)<sup>(٣)</sup> .

قال بعض السلف: (أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بيمينه وكرمه)<sup>(٤)</sup> .

(١) إن الله خلقنا بيده ونفخ فينا من روحه وأسجد لنا ملائكته وتحبب إلينا بنعمه ومن أتاه ماشياً أسرع إليه هرولة ورحم الناس رحمة يوم القيامة يتعجب منها الإنسان فيخرج بشفاعته من النار من لم يعمل خيراً قط وأعطاه الخلود في الجنة من هذا الإنسان العجيب الذي سخر الله الكون جميعاً منه قلله الحمد والمنة.

(٢) الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج ١ ص ١٦٩.

(٣) الروح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ٣٩٥، ١٩٧٥م، ج ١ ص ٢٥٨.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/٥١٣، وانظر: ١/٥٢٠، من المرجع نفسه .

وكرر ابن القيم المعنى السابق الذي ذكره الإمام أبو حامد فقال . ~  
 :: (لَقَلْبٌ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ) بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ  
 وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ، وَمَتَى  
 قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ  
 وَكَاسِرٍ، وَلَكِنَّ السَّلْفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصِّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى  
 جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ  
 الْخَوْفِ، هَذِهِ طَرِيقَةُ أَبِي سُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِ، قَالَ: يَنْبَغِي لِلْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ  
 الْغَالِبَ عَلَيْهِ الْخَوْفَ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فَسَدَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ،  
 فَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْمَرْكَبُ. وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَانِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوصِلُ بَيْنَهُ  
 وَكَرَمِهِ. (١).

وطريقة القرآن في الترتيب تقديم الرجاء على الخوف قال الله (ﷻ):  
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ  
 وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٢).

ونلاحظ أن الله تعالى في سورة المائدة بدأ الأمر بالوفاء بما أحل لا  
 بما حرم لئلا يكون ذلك منفراً.

والسنة تبدي ترغيباً كبيراً فعن جابر (رضي الله عنه)، أنه سمع النبي (ﷺ) قبل  
 موته بثلاثة أيام يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ)

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٥١٣، وانظر: ١/ ٥٢٠، من المرجع نفسه .

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٧) .

(١)، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا النَّاسَ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . فَخَرَجُوا يُبَشِّرُونَ النَّاسَ) (٢) .

وفهمي لأحاديث الرجاء كحديث أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (آتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) (٣) .

إن تلك الأحاديث لمن مات على توبة، أو كان ماله إلى الجنة لكن بعد التطهير من ذنوبه بالعذاب فترة، ثم يشفع له في الدخول إلى الجنة جمعاً بين الأحاديث. وفي حديث الشفاعة الطويل في عصاة المؤمنين أنهم يدخلون الجنة بعد الطهارة من الذنوب (فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد (ﷺ)، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد أرفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم

(١) رواه مسلم في صحيحه. كتاب: الإيمان. باب: الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١ ص ١٠٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري مسند الكوفيين، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج ٣٢ ص ٤٦٥. وقال المحقق: إسناده حسن .

(٣) رواه الإمام البخاري، كتاب: الجنائز، باب: في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ج ١ ص ٤١٧ .

أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أقر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة . أو خردلة . من إيمان فأخرجه، فأنتلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أقر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنتلق فأفعل، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناها فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث، فانتهي إلى هذا الموضوع، فقال: هيه، فقلنا لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا، قلنا: يا أبا سعيد فحدثنا فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولاً ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أقر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب انذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ج ٩ ص ١٤٦، مرجع سابق .

ومنهج أهل السنة أن عصاة المؤمنين تحت المشيئة فلا نقطع لمعين مات من غير توبة بالنار كالرجل الذي مات منتحراً فعن جابر (رضي الله عنه) قال: (فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتوا المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطياً يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ)، فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم وليديه فاغفر) (١).

فينبغي ألا نتقن فن تصعب دخول الجنة ولا فن تسهيل دخول الجنة بل يجب الموازنة قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): (الفقيه كل الفقيه من لم يؤمن الناس من مكر الله ولم يقتطهم من رحمة الله) (٢) وهذا هو منهج أهل العلم والإيمان، فإن الله جمع في كتابه بين الخوف منه والرجاء في رحمته، فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ عَنَّا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣).

ومن طريقة القرآن الكريم التدرج مع الناس في الدعوة فنبداً مثلاً مع أهل الكتاب ببيان أخطائهم في سورة البقرة، ثم مناقشة هائلة في سورة آل

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١ ص ١٠٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ج ٢ ص ٨١٧، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م.

(٣) سورة الحجر، الآيتان (٤٩، ٥٠).

عمران، ثم انتقاد لغوهم في سورة النساء، ثم مواجهة شديدة معهم قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۗ لَعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾<sup>(١)</sup> كما هو ظاهر في ترتيب المصحف.

#### ٤- تفعيل البحوث إلى واقع حي:

تفعيل البحوث يعني: إنزال البحوث والرسائل من على رف المكتبة والتفعيل بمعنى عصر ما فيها من معلومات ليتناولها الناس عسيراً يدور في الكؤوس ونشرها عن طريق اليوتيوب وكنا نعتذر بعدم إتاحة وسائل الإعلام مساحة كافية للدعاة والآن المنبر مفتوح لكل الناس ولا تنتظر الظروف المثالية فلن تأتي ولكن لا بد وأن تبدأ حتى تحقق النجاح ولا يستخف الداعية بكلمة تقال فربما قال كلمة لا يلقي لها بالا تكون سببا في هداية وهو لا يدري ولا يصيبه الإحباط إذا لم يجد له جمهورا في بداية الأمر فإن الناس فطروا أن يسمعوا للمشاهير وقد يكون منهم لكنه يعمل على نفسه وتطویر دعوته ستجد لها جمهوراً لكنه لا ينيوي بذلك الشهرة والانتشار وإنما يخلص في دعوته حتى تحيا ويحيا بها الناس .

ولم يعد هناك معوق لوصول الدعوة للغير فلا يشترط لها السفر كالسابق ولكن وأنت في البيت تستطيع أن تصل إلى الناس في أي مكان، فالإنترنت جعل العالم قرية صغيرة فأذن في الناس بالدعوة وعلى الله بلاغها، فسوف يحمل الله صوتك للناس ويوصله إليهم ولو كانوا في بروج مشيدة وربما كان من تقدير الله وجود هذا التواصل بين العالم ليتناسب

(١) سورة المائدة الآية (٧٢) .



مع عالمية الدعوة، فكل ذلك بتقدير وحساب ولا يوجد في الكون شيء عشوائي فالحكيم لا يعبت سبحانه وإن غابت عنا حكمته.

إن أبحاثاً كثيرة تملأ مكتبات جامعاتنا العامرة منها أبحاث عن النصرانية واليهودية والبوذية ورد شبهاتهم، وبيان الحق فيهم فهلا خرجت تلك الأبحاث إلى النور وانتفع بها الناس.

إن الكلمة صارت تقطع أرجاء الأرض من أقصاها لأقصاها في دقائق، فما أحرى الدعاة أن يسمعوا شعوب الأرض صوت الإسلام، ويظهروا لهم أخلاقه، ليستبين لهم ذلك الدين القيم خاصة في هذه المرحلة التي سيطرت فيها المادية على حياة الناس ويحتاج الناس فيها إلى روحانية الإسلام.

إن الصين وحدها تربو على المليار ونصف ويحتاجون إلى تعديل بسيط في العقيدة، فبدلاً من أن يقولوا بوذا هو الإله ندخل تعديلاً بسيطاً ونقول الذي خلق ورزق هو الله وليس بوذا، فنبدأ بقولنا: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فدعوة الإسلام دعوة عالمية، والله سيحاسبنا على ترك هؤلاء كالغنم المطير في الليلة الشتائية هكذا في هذا التيه فهلا أعدنا إلى الله بالبلاغ لهم عن طريق إذاعات خاصة تخاطبهم بلسانهم وبكوارر أعدت من أجل هذا المقام أو حتى باجتهاد فردي لمن رام هذا الثواب العظيم.

إن هداية شخص واحد تعدل الدنيا وما فيها وقد قال النبي (ﷺ) لعلي يوم فتح خيبر (فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر

النعم)<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة، أن رسول الله (ﷺ)، قال: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- أن يجعل الخطيب المستمع لا ينسى ما يقوله:

إن على الخطيب ألا يعطي المستمع فرصة لكي ينسى ما يقال، فهناك مثلاً بعض المواقف في حياة الإنسان لا ينساها، ومواقف أخرى لا يتذكرها فما السر وراء ذلك وأرى أن السر وراء ذلك هو تركيز الإنسان في هذا الموقف فيجعله لا ينساه أبداً ولذلك لا بد وأن يأخذ الداعية بخيال المستمع حتى يركز فيما يقول بأن يحكى موضوعه على هيئة قصة، فيصورها له، وغالباً لا يلتفت الداعية إلى ذلك وإنما يقوم بسرد الكلمات التي ينساها المستمع غالباً بعد تناوله لوجبة الغداء، والدليل على ذلك أنك لو سألت أي واحد ماهي خطبة الأسبوع الماضي ربما لا يتذكرها، بل قل له ما هي الخطبة التي اثرت فيك فلن يتذكر شيئاً، وقد قمت بذلك بنفسى مع بعض الناس فلم يتذكروا شيئاً ومما يساعد أيضاً في التذكر تصوير الكلام وتجسيده، فلغة الجسد هو تصوير للكلمة المنطوقة، وتعويض عن وسائل الإيضاح الأخرى مما يجعل بقاء أكثر للكلمة في الذاكرة (وقد توصلت دراسة في الأمم المتحدة إلى أن الاحتفاظ بالمعلومات والقدرة على تذكرها في العروض التقديمية الشفوية يسجل ١٠٪ فقط وهذا

(١) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ج ٤ ص ٤٧، مرجع سابق.

(٢) رواه مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ج ٤ ص ٢٠٦، مرجع سابق.

يعني أن التقديم الشفوي يتطلب تكرار النقاط الرئيسية كثيراً لكي يكون مؤثراً، ومعدل الاحتفاظ بالمعلومات وتذكرها في العروض التقديمية التي تجمع التقديم الشفوي والمرئي هو ٥٠٪ وهذا يعني أنك ستحقق زيادة في تذكر المعلومات ٤٠٪ في الكفاءة والتأثير عن طريق استخدام وسائل مساعدة مرئية<sup>(١)</sup>. فهو بذلك يخاطب حاستين معا السمع والبصر، فلا ينبغي أن يبقى الداعية متجمداً وتمسكاً بوضعية جسد واحدة، أو يلتزم وتيرة صوت واحدة. (فالإيماءة تضيف تذكيراً بصرياً، والجمهور يتذكر حركة الجسد، ويتذكر أي أصبع قمت برفعه حين العد مثلا)<sup>(٢)</sup>.

ويساعد في ذلك أيضاً ربط موضوع الخطبة أو الدرس بالواقع، فاختيار النص الديني أو التاريخي، والحديث فيه دون ارتباطه بالواقع وإسقاطه على الواقع يؤدي إلى الانفصام بين الواقع والنص وتصير الدعوة نوعاً من تخدير الناس والذهاب بهم إلى عالم آخر غير الذي يعيشون فيه ولا يبدأ بالنص أولاً ثم يحاول أن يربط بينه وبين الواقع فيكون الرباط هنا واهياً ينفك بانصرام الخطيب من خطبته، والحقيقة أن عكس هذه المسألة هو الذي ينبغي أن يكون وذلك بتناول مشكلة حية يحياها الناس واقعا ملموسا، ومن ثم يلتمس لها من نصوص الدين والتاريخ ما يدل عليها، فتكون أشبه بالحل والعلاج لتلك النازلة وتكون المشكلة بمثابة سبب لنزول الآية الكريمة، فيحدث ارتباطاً كبيراً جداً بين الواقع والنص وقد كانت هذه هي طريقة نزول الوحي في الغالب ويتأتى لذلك تأمل الداعية للواقع، والنظر فيه وما يهم الناس ومن ثم التحدث عنه.

(١) المرجع الأكيد في لغة الجسد: آلان وباربارا بيبز، ص ١٨٩، ط. مكتبة جبر، ٢٠١٥ م.

(٢) انظر: ما يقوله جسدك، شارون سايلر، ص ٣٦، ط. مكتبة جبر، ٢٠١٣ م.

وكذلك أن يركز الداعية على نقطة واحدة، ولا يتشعب في حديثه ولا يكثر فإن العقل ينسى إذا كثرت عناصر الموضوع ، ومن وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان حين بعثه إلى الشام: ابدأ بالصلاة إذا حل لك وقتها، ولا تشاغل عنها غيرها، فإن الإمام تقتدي به رعيته وتعمل بعمله في نفسه، وإذا وعظت فأوجز ولا تكثر الكلام، فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً<sup>(١)</sup> .

فقصّر الخطبة من فقه الخطيب فعن واصل بن حيّان، قال: قال أبو وائل: حَظَبْنَا عَمَّارًا، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: (إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مِثْنَةٌ مِنْ فَقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا)<sup>(٢)</sup> .

وكذلك البحث عما يهم الناس ثم العصف الذهني والتفكير بعمق في الموضوع، وكانت هذه طريقة الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى وهو ما حكاه عنه صديقه الشيخ السنراوي رحمه الله تعالى فقال: (فكان عندما يستحضر شيئاً يتكلم فيه، يجلس وحده في غرفة مطأطئ الرأس سائحاً ثم يخرج بعد هذه السياحة بحراً هادراً يحمل سفينة النجاة إلى شاطئ الحياة، وربما طلب منى أن آتى له بكتاب كذا سواء في التفسير أو غيره ويقول اقرأ على فأقرأ عليه سطرأ أو سطرين ثم يقول لي كفي)<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك إرشاد المستمع إلى الأعمال التي يمكن أن يقوم بها خلال الخطبة، ولا ينتظر تحصيلها من نفسه، وترغيبه فيها ببيان ثواب العمل

(١) مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ج ٨ ص ٢٣٨ .

(٢) رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ج ٢ ص ٥٩٤، مرجع سابق .

(٣) من تسجيل مع الشيخ/ السنراوى في بيته بالفيوم .

بها وفوائده العائدة عليه حتى يرغب في العمل، وكذلك البحث عن الجديد والمتعة في الأداء باختيار كلمات فصيحها بليغة مع سلامة النطق والإعراب، فاللغة العربية آثره ساحرة، والأسلوب حين يكون متميزاً وفريداً وبسيطاً يسحر النفوس، ومما يساعد على ذلك الاطلاع على أسلوب كبار الكتاب والنظر في مفردات أسلوبهم وعرضهم ولقد ظل بعض الكتاب سنين طوال يبحثون عن التميز حتى وجدوه ولا بأس بالتقليد في بداياتك حتى تجد أسلوبك الخاص بك.

#### ٦- الإلهام ببعض الفنيات العملية:

حتى يكون الداعية فاعلاً ومؤثراً لابد وأن يكون ملماً ببعض الفنيات العملية حول موضوعه من بداية تحضير موضوعه إلى نهايته، وهي الإحاطة بالموضوع، وهضم المادة العلمية، فلا يتحدث إلا إذا دار حول الموضوع دورة كاملة، وأن ينظر ما وراء الأكمة، وأن يحدد الداعية الهدف من وراء موضوعه، ويؤمن به، ويرضى عنه، فالإيمان بالهدف يعطي للكلمة روحاً تقتنع بها من يسمعها ومن ثم الاجتهاد في الوصول بها إلى الناس ويجعل الموضوع في قالب قشيب من خلال سبك موضوعه كقصة فيجعل منه حكاية، والمران والتدريب والإلقاء على النفس قبل المواجهة.

ومن هذه الفنيات تدوين الفكرة والإمساك بها وعدم إفلاتها حين حضورها، فتارة تأتي الفكرة وأنت على المنبر، فصيد خاطر لابد منه فإن أقلته فليوما لن يأتي أبداً، واعلم أن الفكرة تأتي في لحظة خاطفة، وومضة من الاستبصار في وقت غريب، فلو أهملت تدوينها فقد تضيع للأبد، فارقم بسن القلم ما جال بخاطرك، فكل ما جاوز القرباس ضاع، فإن الفكرة الرطبة تقبل التدوين فإن جفت لم تقبل ذلك.

ومنها (ألا تبدأ الحديث بطرح دعاية، أو بالكلام عن تاريخك لأنه قد لا يتفق معك الجميع في التأثير بذلك، ولكن ابدأ الحديث بعبارة غير قابلة للدحض ولتكن بتفهم ظروف المدعو حتى تحصل على موافقته أن يتحد معك ويصحبك في رحلتك الخطابية وعلامة ذلك أنهم يؤمنون برؤوسهم إيجاباً والخطوة التالية من الحديث معه ستكون سهلة ويسيرة)<sup>(١)</sup> .

(وحاول ألا تتحدث عن نفسك أثناء الخطبة، ولكن اجعل محور الخطبة يكون التحدث عن الجمهور وما ينفعهم فلا تقل أنا ولكن دائما قل أنتم)<sup>(٢)</sup> .

ومنها الوقفات الخفيفة المقصودة لكن لا تطول فكلما طالت الوقفة تعطي انطباعاً أنك لا تدري ما الذي ستقوله بعد ذلك أو أنك تحاول أن تتذكر ماذا تقول. ومنها ألا تسرع في حديثك حذراً ولا تبطئ فيه ترتيلاً وتوسط بينها ليتوافق وروح العصر فإذا ما أبطأ الإنسان في الفكرة تلو الفكرة شعر المتلقي بالسأم وكذلك إذا أسرع لم يستطع المستمع ملاحقته في الفكرة فينقسم عنه.

ومنها الإيحاء النفسي أثناء الخطبة، وفكرته أن تتحكم في عقلية المستمع، والتأثير فيه من خلال السيطرة على روحه من خلال الأخذ بخيال المدعو، واحتلال دماغه، وترسيخ الأفكار فيها التي ترنو أن تصبح سلوكاً منه، فتحبس الفكرة في العقل الباطن، فإذا جاء موحياً فيحياها ويوقظها فتتحول إلى سلوك، وهو ما يعرف بالارتباط الشرطي.

(١) انظر: تحرر من مخاوف التحدث إلى الجمهور، جانيت وروى هندرسون، ص ٣٥-٤٥، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٤ م.

(٢) الخطيب القوي، جيري وايزمان، ص ٣١، ط. مكتبة جرير، ٢٠١١ م.

ومنها فلسفة الموضوع بالإنفاذ إلى جوهره بتبيان الحكمة منه، فالعلل تكثر الملل وتسبب الروح، فاستثر الفضول عند الناس كي يعرف الحكمة من وراء موضوعه، وغالبا لن ينس الأمر، فمجرد سرد القصة دون الإنفاذ إلى الحكمة منها أو تعليلها يبقى أسئلة كثيرة في الذهن قد تتراكم على المستمع وتفتنه خاصة فيمن لا علم لهم، ولا نفس في البحث عن تلك الأجوبة، فإذا تحدثت مثلا في الإسراء والمعراج لا تكفي بذكر القصة فقط ولكن أجب عن التساؤلات الكثيرة الموجودة في القصة منها مثلا ما تناوله العلماء من الصلاة بالأنبياء في بيت المقدس ولما عرج به لم يعرفهم ولم يعرفوه، فكيف وقد صلى بهم من قبل مما حدا بالعلماء أن يقولوا أن الصلاة بالأنبياء كانت عند عودته من الرحلة وهكذا.

ومنها الاستهلال وحسن الختام وذلك بعرض فكرة واضحة جداً عن الموضوع أو بطرح سؤال لاستدراج الجمهور للسمع، وكذلك الخاتمة فحسن الختام يعطي تأثيراً فائقاً في المستمع ويجعله في حالة شجن مؤقت نحو الموضوع ويحمله على تكراره وبالتالي تذكره. ومن براعة الاستهلال: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب: تحريم الظلم، باب: البر والصلة والآداب، ج ٤ ص ١٩٩٧، مرجع سابق

## ٧- الإلمام ببعض فنيات لغة الجسد:

قد يظن الداعية أن عنصر الإلقاء الوحيد للخطبة هو الكلام، ولكن الحقيقة أنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد وضعية الجسد، والإشارة المصاحبة، ونبرة الصوت وقد قيل: رب إشارة أبلغ من عبارة يقول الجاحظ رحمه الله: "ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت"<sup>(١)</sup>. ويقول المختصون في مجال التنمية البشرية: المعلومة تصل للسامع عن طريق نظر الرائي بنسبة "٥٥٪"، وعن طريق الأذن بنسبة "٣٨٪"، وباقي نسبة التأثير تكون للكلام اللفظي وهي ٧٪ فقط، ولغة جسد الإنسان فطرة إنسانية نقرأها لا شعورياً، وقد قرأ عبد الله بن سلام وجه رسول الله واستنبط منه عدم كذبه (ﷺ) من مجرد تفرسه الوجه النبوي فعن عبد الله بن سلام، قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)<sup>(٢)</sup> وهي تغني عن الكلام أحياناً، وقد نبه الله تعالى على قيمة التفرس أو التوسم في القرآن الكريم. يقول الرازي . ~ .: (الْفِرَاسَةُ هِيَ الْإِسْتِدْلَالُ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ عَلَى الْخُلُقِ الْبَاطِنِ، وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صِدْقِ هَذَا الطَّرِيقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> وقد كان التفرس

(١) المرجع السابق، ج ١ ص ٨٣.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ، ج ٤ ص ٦٥٢، وقال حسن صحيح .

(٣) سورة الحجر، الآية (٧٥).



من صفات إبراهيم الخليل وبنيه &، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٢) والأبصار هي: الفهم والبصيرة من خلال التوسم .

يقول الألوسي . ~ :: في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣) .

يعني (قائلين إشارة) (٤) هل يراكم أحد من المسلمين (٥)، ومن فنياتهما الوقفة الصامتة على الإشارة، بمعنى الإبقاء على الإشارة ذاتها مدة لطيفة وعدم التحرك عنها بعد الانتهاء من الجملة (هذه الوقفة تسمح لعقل المستمع أن يرى الرسالة ويشعر بها ويفسرها ويستوعبها) (٦) .

والتوقف قبل وبعد الأفكار المهمة عامل جذب للمستمع، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، ذكر النبي ﷺ ﴿قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ . أَوْ بِرِزَامِهِ . قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٧٣) .

(٢) سورة ص، الآية (٤٥) .

(٣) سورة التوبة، الآية (١٢٧) .

(٤) يقول ابن حزم: والإشارة بمؤخر العين الواحدة نهي عن الأمر، وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد). طوق الحمامة في الألفة والألاف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفي: ٤٥٦هـ)، تحقيق: د/ إحسان عبد الباسط، ج ١ ص ١٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م .

(٥) لغة الجسد النكية، ماكس إيه. إيجارت، ص ١٦، ط: مكتبة جرير، ٢٠١٣م .

(٦) انظر: ما يقوله جسدك، شارون سايلر، ص ٣٧، ط: مكتبة جرير، ٢٠١٣م .

سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاعَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ.....الحديث<sup>(١)</sup> .

ومن هذه الفنيات الانفعال مع كل فقرة تستحق ذلك، ومن ذلك مثلاً حديث رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أَوْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أُمَّدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ"<sup>(٢)</sup> فيأتي الداعية عند قوله: . لو أقسم على لأبره . فهذه جملة تشعرك أنه لو قالها بصوته العادي ما حركت الناس ولا لا انت جلودهم، ولا اقشعرت أبدانهم، ولكن لو أعطاها من نبرة صوته ما يتوافق والحدث الجلل، ما يفهم الناس أن الإنسان بيره يكون مستجاب الدعوة، ومن ثم يحدث التأثير، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: (كان رسول الله (ﷺ) إذا خطب أحمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم)<sup>(٣)</sup> فصوتك هو أداة التعبير عن شخصيتك، فإذا كان صوتك يتسم بالقوة ويعبر عن الثقة بالنفس ستجد الآخرين يعدونك شخصاً قوياً ونشطاً واثقاً من ذاتك، أما إذا كان صوتك ضعيفاً متخاذلاً، فستجد الآخرين يعدونك شخصاً ضعيفاً متخاذلاً إن صوتك هو الذي يعبر

(١) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: رب مبلغ أوعى من سامع، ج ١ ص ٢٤، مرجع سابق .

(٢) رواه مسلم كتاب: فضائل الصحابة، باب: مِنْ فَضَائِلِ أَوْسِيِّ الْقُرَيْشِيِّ ﷺ، ج ٧ ص ١٨٩ ط: دارالجيل بيروت، دار الأفق الجديدة، بيروت .

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢ ص ٥٩٢.

عن شخصيتك وعن حالتك النفسية) <sup>(١)</sup> والآن هناك مكبرات الصوت تقوم هذا المقام لكن المراد من الحديث إعطاء اللفظ النبرة التي تناسبه .

#### ٨- توصيات مهمة جدا للداعية:

منها مراعاة الانطباع الأول فإن المستمع يكون انطباعاً أولاً عن الخطيب خلال الثواني الأولى، فينبغي على الداعية أن يحشد كل قواه في السبع ثواني الأولى ليظهر بصورة كريمة، وقد لا يحظى بفرصة ثانية لتوليد انطباع أول جيد (وقد أظهرت الأبحاث أن أول خمسة عشر ثانية الأولى من مقابلة الجمهور مهمة للغاية لترك الانطباع الأول، وتسعون بالمئة من الجمهور يكونون رأيهم في الداعية خلال الأربع دقائق الأولى، وما بين ٨٠:٦٠٪ من الانطباع الذي ستتركه لديهم غير لفظي) <sup>(٢)</sup> .

وينبغي للداعية أن يتقن لغة جسد مستمعيه ليعرف رد فعلهم، وهو ما يسمى بالتغذية الراجعة فيتعرف على سمات وملامح شخصية مستمعيه، وإذا تمكن الداعية من فك رموز لغة الجسد من خلال فهم وضعية جسد مستمعيه، أو من خلال العلامات التي تبدو على الوجه، أو من خلال حركة اليدين وغيرها، تمكن من معرفة إقبال الناس عليه، أو انصرافهم عنه. (وتشير التقديرات أن المتكلم يقوم بالتواصل البصري بنسبة تتراوح ما بين ٤٠ : ٦٠٪ بينما يقوم المستمع بالتواصل البصري مع الخطيب بنسبة ٨٠٪) <sup>(٣)</sup> .

(واستقبال إشارات التواصل غير اللفظي وتفسيرها تتم عادة دون وعي منا، فهي تحدث بمنتهى البساطة والبديهية، فالبشر مبرمجون جينياً على ملاحظة حركات الوجه والإشارات السلوكية، وفهم معناها بشكل

(١) فن الإقناع، هاري ميلز، ص ٧١، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٤ م .

(٢) لغة الجسد في مكان العمل، آلان وباربرا بيز، ص ٧٣، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٣ م .

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٩ .

سريع، فقد نرى شخصاً يقوم بحركة ما، فنصدر حكماً عما يقصده من هذه الحركة تلقائياً<sup>(١)</sup>.

ومنها معرفة طبيعة عصر المدعو فالفهم الصحيح للواقع هو من البصيرة التي قال الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن البصيرة معرفة زمان الناس، فكلما اقترب الزمان كثرت الفتن وقلت الأخلاق التي عندها قد يتمنى بعض الناس الموت، فعن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه)<sup>(٣)</sup>.

وهذا يحتاج إلى رصد ومعالجة من الداعية، فمن علامات الساعة كثرة الشرور التي والتي تتمثل في ظهور الزنا والقتل والجهل وغيرها من الرذائل، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال رسول الله (ﷺ) "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيم قتل"<sup>(٤)</sup>.

ثم يعجل بخيارنا حتى تبق نخالة كنخالة الدقيق لا يبال الله لهم باله عَنْ مِرْدَاسِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ

(١) لغة الجسد، كارول كينزي جومان، ص ١١، ط. مكتبة جرير، أولى، ٢٠١٤ م.

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج ٤ ص ٢١٣٤.

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج ٤ ص ٢٢٣٠.

فالأول، وتبقى حُثالة حُثالة الشعير أو التمر، لا يُباليهم الله بالة<sup>(١)</sup> .

فمن طبيعة هذا العصر المادية التي طغت على الناس وأصبح الناس لا يباليون أكلوا من حلال أو من حرام، (لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالُ، أَمْ مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ)<sup>(٢)</sup> .

- ومنها تجنب الإسراع المخل أو البطء الممل فإن الناس في هذا العصر تحتاج إلى الجديد، والتشويق واللغة السهلة، وقصر الخطبة ليتلاءم وطبيعة العصر الذي يتسم بالسرعة، فمن خلال الملاحظة لم يعد في طاقة الانسان أن يصبر كثيراً، فلو وجد المدعو مقالاً كبيراً لا يتم قراءته في الغالب، وسبب ذلك هو ذلك السارق أو ما يسمى بالجوال الذي عود الناس علي مشاهدة الفقرات القصيرة، والفيديوهات تلو الأخرى والتي جعلت الانسان ملولاً، فلا يحبذ المقدمات الطويلة ولا التمهيدات، وإنما يستحسن أن يدخل في الموضوع مباشرة دون أن يكون هناك فاصل في الخطبة ليس له علاقة بالموضوع، ولذلك نرى من خلال الملاحظة أن الفيديو صاحب الرتم السريع من أصحاب المشاهدات الكثيرة ومن هذه السياسة ما رواه ابن مسعود (رضي الله عنه)، قال: كان النبي (ﷺ) (يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السامة علينا)<sup>(٣)</sup> والتخول هنا هو مراعاة لطبيعة المدعو ودراسة عصره، فدراسة حال السامع وطبيعة الزمن الذي يعيش فيه ضرورة، فالزمن أخذ طابع

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقائق، باب: ذهاب الصالحين، ج ٥ ص ٢٣٦٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، ج ٢ ص ٧٣٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ط. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ج ١ ص ٢٥.

السرعة، فيخاطب الناس بدون مقدمات طويلة، والدخول في الموضوع مباشرة، ولحم العناصر بعضها ببعض وبدون فترة انتظار طويلة بين كل عنصر وعنصر . لكن لا يكن إسراعاً مخلأً . وعدم تكرار الفكرة، وإلا ستفقد منك بعض المستمعين، والإلمام بمفردات بليغة من كتب الأدب ترصع بها عباراتك كعامل جذب وانتباه، وتكون الفكرة غاية في الوضوح وهذا يتطلب دراسة الموضوع وتحيين فرص التأثير لأن النفس لا تكون على حالة واحدة، فأحياناً تكون قابلة للتأثر، سهلة هيبة، وأحياناً يُصيبها السأم والملل، أو يعثرها من الضيق والغضب ومشاركة الناس همومهم من خلال الخطب والدروس والتماس حلولاً لها.

- ومنها مراعاة الفروق الفردية أثناء الخطبة. هناك فروق مختلفة بين البشر في أشياء متعددة منها حدة الذكاء، وسرعة الفهم فهناك البصريون فهؤلاء لا بد لهم من تجسيد الكلمة، واستنطاقها عن طريق لوحة خيالية مرسومة في الهواء بتمثيل الموقف كأنه قصة، وهناك من يفهم عن طريق السماع وهم السمعون فلا بد من استنطاق الكلمة وعمل صورة منها ليستفيد أصحاب السماع الذين يفضلون السماع على المشاهدة، فالتنوع مطلوب في الخطبة لتصل الدعوة إلى الجميع.
- ومنها تجنب المسائل الخلافية على المنبر فهناك مسائل لن يحسمها الجدل وهي المسائل الخلافية التي سيظل الناس يسألون عنها، ويسمعون فيها رأيين مثل التصوير، وحكم حلق اللحية، والغناء والموسيقى وغيرها من مسائل الخلاف فالمنبر يجمع ولا يفرق.
- ومنها زينة الكلام بالقسطاس وإيضاحه. فإن الداعية الذي يزن كلامه، فيضع كل كلمة في موضعها، ولا يدخل في كلامه شيئاً من الحشو

والاستطراد، ويتحرى الصدق فيما يقول ولا يتبع الضعيف من القول يثق به الناس، ويا حبذا لو أنه لا يترك شيئاً دون إيضاح اعتماداً على فهم الناس ما بين السطور، ظناً منه بداهة الموضوع، فالناس ليس عندهم الخلفية الثقافية التي عند الداعية، فإن لم يلتزم بذلك هدم بدلاً من أن يبني: فعن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟» قال: قلت: لا، قال: «يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين»<sup>(١)</sup>.

- ومنها عدم التشويش على الفكرة. فإن التشويش على الكلمة بحركة، أو بكلمة، أو التطرق إلى مواضيع جانبية يقطع تسلسل الفكرة، ويشغل الحاضرين بحركات وشوشات تحول دون تتبعهم لما يقال، فيحدث ضوضاء ولبلة واختلاطاً في السمع، فيتشتت التركيز، وينصرف المستمع وقد رأيت داعية يتحدث للناس، وخلفه البحر فكان صوت الموج يشوش على ما يقول، ويأخذ بنظر السامع إلى منظر البحر، فيفقد السامع شيئاً كبيراً من التركيز.

ومنها حث المستمعين على التركيز والإنصات أثناء الخطبة أو الدرس فهذا مهم جداً في استيعاب ما يقوله الخطيب، ولا بأس بإعادة الفكرة مرتين كي يستوعبها المستمع إذا كانت تحتاج لذلك ومن ذلك نهي النبي (ﷺ) عن تخطي رقاب الناس يوم الجمعة فعن جابر بن عبد الله: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله (ﷺ) يخطب، فجعل

(١) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الدارمي، ط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٢٩٥ وزياد بن حدير الأسدي، أبو المغيرة، الطبعة: ٢ من كبار التابعين، روى له: (أبو داود)، رتبته عند ابن حجر: ثقة عابد وصححه الألباني في المشكاة: ج ١ ص ٨٩.

يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَأَنْتِ) (١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٢).

فلا يكن المستمع حاضراً وقلبه غائب، فإن غاب قلبه بكثرة الآثام فينبغي أن يستحضر أذنه ويشهد قلبه ويستحث حتى يعمل فيه الحديث. فالرجل الذي له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها غيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه. ورجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة (٣).

والضغط على موضع الاهتمام بمعنى تكرار الحديث عن الأمر الذي تريد تثبيته في الذهن حتى يوازن ضغط الواقع على الناس.

(١) رواه ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب: أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الكلام بعد نزول الإمام عن المنبر ط: دارالرسالة العالمية ط، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) وقال المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف، إسماعيل بن مسلم . وهو المكيف، والحسن مدلس وقد عنعنه. أبو كريب: هو محمد بن العلاء بن كريب. ويشهد له حديث عبد الله بن بسر عند أبي داود (١١١٨)، والنسائي ٣ / ١٠٣، وهو في "مسند أحمد" (١٧٦٩٧)، و"صحيح ابن حبان" (٢٧٩٠)، وسنده صحيح. قوله: "آذيت" يعني: آذيت الناس بالتخطي. "وأنيت"، أي: تأخرت بالمجيء وأبطأت.

(٢) سورة ق، الآية (٣٧).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ج ١ ص ٤٤١.



## المطلب الثاني

### عوامل إخفاق الداعية

إن الدعاة ومنذ زمن طويل يدعون إلى الله بصورة شبه يومية كالدروس في المساجد أو بصورة أسبوعية كخطبة الجمعة ومع هذا الكم الهائل من الدعوة إلا أن سلوك الناس لا يتحسن فما هو السر في ذلك؟ هل هو في المرسل؟ أم في المتلقي؟ ومعلوم أن الدعوة روح فإذا خرجت من صاحبها حية أحييت بإذن ربها. وربما يكون السر وراء عدم تأثير الناس بالدعوة قد يعود للأسباب الآتية:

#### ١- الخطاب الدعوي الذي لا يمس الواقع ومشكلاته:

إن عدم التعرض لمشكلات المجتمع ومتطلباته بصورة حيادية متوازنة، يجعل الناس مقطوعي الصلة عن الداعية وعن الاستجابة والعمل بما يقول، إن الجمهور لا يمكن أن يتفاعل مع خطبة الجمعة أو غيرها من أدوات الخطاب الدعوي حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بهومومه وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته، أما أن تظل المواعظ المجردة محلقة في سماء الروحانيات فهذا يعني أنها ستظل في عليائها محلقة مرفرفة دون أن تحرك الواقع أو تؤثر فيه.

#### ٢- النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة الصحة والمنطقية:

إذا لم يعد عند الداعية فراسة النقد وشيء من المنطقية لعبت به الكتب والآراء، فهناك بعض الخطباء ينقلون من كتب أهل العلم دون مراعاة الصحة أو المنطقية في النقل، فيقع التنافر الشديد بين الطرح

وبين عقلية المتلقي، فتجعلهم ينفرون بشدة مما يتنافى مع معطيات المنطق أو قد يقبله بعضهم فيحدث عنده تنافر بين الفكرة والمنطق، وبالتالي لو قبل هذا على سبيل المسلمات الدينية فسوف يعتل فكره نتيجة لما يغزوه من معلومات وقصص غير واقعية، وإذا كانت القصة تدريب عملي على السلوك، فلا بد وأن يكون السلوك به خلل نتيجة الفكرة المعتلة، وقد سمعت داعية معروف يسرد هذه القصة، قال: روى ابن عساكر، في تاريخه عن بعض أصحاب الشبلي، أنه رآه في النوم، بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا أبا بكر أتدري بماذا غفرت لك؟ فقلت: بصالح عملي. فقال: لا. قلت: بإخلاصي في عبوديتي، قال: لا. قلت: بحجي وصومي وصلاتي. قال: لم أغفر لك بذلك. فقلت: بهجرتي إلى الصالحين، وإدامة أسفاري في طلب العلوم. فقال: لا. فقلت: يا ربي هذه المنجيات التي كنت أعقد عليها خنصري، وظني أنك بها تعفو عني وترحمني. فقال: كل هذه لم أغفر لك بها، فقلت: إلهي فبماذا؟ قال: أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد، فوجدت هرة صغيرة، قد أضعفها البرد، وهي تنزوي من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج، فأخذتها رحمة لها، فأدخلتها في فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد؟ فقلت: نعم. فقال: برحمتك لتلك الهرة رحمتك<sup>(١)</sup>.

إن الرحمة صفة فاضلة كما جاءت في الأحاديث الصحيحة كالذي أذنب وسقى كلبا فرحمه الله، لكن هذه القصة الأنفة تقول أن سقيا هرة أكبر من الصلاة والصيام والحج والصدقة والسير في طلب العلم مما يشي

(١) حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ، ج ٢ ص ٥٢٢ والقصة لم أجدها في تاريخ دمشق لابن عساكر.

أن الإنسان لو فرط في شيء منها ثم رحمة أجبرت ذلك الكسر من ذلك الكسير وهو بلا شك مفهوم عكس ما تقول به كليات الدين.

### ٣- إعادة تدوير الفكرة مرات:

إن إعادة الفكرة مرات وذلك بأن يذكر الداعية الفكرة ثم يعيد تدويرها مرات يحدث هذا انفصام بينه وبين المستمع، فينفصم عنه السامع ويقطع اتحاده بالخطيب إما بالسرحان أو النوم، فالأسلوب الخطابي الرتيب المستهلك الذي فيه تكرار لا يعني ولا يسمن من جوع، ولن يغير السلوك في شيء، وقد سألت أحدهم عن شيء مؤثر واحد سمعه من داعية مازال في حوزته ويعمل به من كل الخطب التي سمعها قال كثير منهم لا أتذكر الآن وجريت هذا مرات مع أناس مختلفين فكانت نفس النتيجة لا يتذكرون شيئاً، ولذلك لابد من تغيير النهج الخطابي الرتيب.

فالتكرار وعدم الإبداع والتغير والتجديد من الداعية ولزوم النمط السائد الذي يسمعه الناس من قديم مما يصيب السامع بالملل، ويساعد على ذلك أيضاً عدم معايشة الداعية للنص وكيفية عرضه وكذلك الحديث في أكثر من موضوع مما يجعل الدعوة ميتة لا روح فيها .

### ٤- عدم تحين الوقت المناسب للخطاب:

لن يسمع من الداعية صاحب القلب المشغول مهما كان عنده من حلو الكلام قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧) .<sup>(١)</sup>

(١) سورة ق، الآية (٣٧) .

فينبغي تخول الوقت المناسب كما كان يفعل رسول الله (ﷺ)، فعن أبي وائل قال: (كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال أما إنه يمنعي من ذلك أني أكره أن أملككم واني أخولكم بالموعظة كما كان النبي (ﷺ) يتخولنا بها مخافة السامة علينا<sup>(١)</sup> .

#### ٥- الخضوع لضغط الواقع والانسحاق تحت سطوته:

إن الخضوع لضغط الواقع وذلك بمحاولة التوفيق بين الدين والثقافات الأخرى الوافدة استجابة لبعض الناس وتحسينا لأمر الدين في النفوس لأثم خاطئ وهو مما حدا بالبعض من الدعاة أن يفسر الشرع في ضوء الواقع البشري المتقلب، ومن ثم فهو يخضعه لتقلباته، ويجعله تابعاً له، وهذه آفة معيبة وسوأة مشينة إن الشرع نزل ليصحح الواقع البشري، وإنه لجدير بالعلماء والدعاة أن يخضعوا الواقع للشرع ويحددوا درجة انحرافه أو استقامته بمقاييس الشرع. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يَمَآئُتُمْرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدُهُنَّ فَيُدْهِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك أن يكون هناك شيء من المجاملات في بعض الفتاوى ليقال أن الشيخ تنويري ومن هذه القضايا قضية الفن والغناء وغيرها من القضايا التي يثيرها البعض وقد كان د/ سيد المسير، في فتاويه لا يخاف في الله لومة لائم يقول بالحق الذي يعرفه وقد كتبت معاوية إلى عائشة أم المؤمنين أن اكتبني إلى كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشة

(١) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياما معلومة، ج ١ ص ٣٩ .

(٢) سورة الحجر، الآية (٩٤) .

(٣) سورة القلم، الآية (٩) .

إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: (مَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْتَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ) (١).

#### ٦- التزوير الناعم للقضايا الإسلامية:

ومن صور هذا التزوير التهوين من شأن الأمر الكبير الهائل، والتهويل في شأن الأمر الصغير الهين، وحشد النصوص له بما يدعم به دعوهم، ومن التزوير كذلك تبني المنهج الانتقائي وهو الحديث عن بعض جزئيات الدين وعدم الخوض في بعض مما يحدث عوارا فكريا عند المتلقي، فيتضخم عنده جانب بينما يتساهل في جوانب أخرى، وهذا لن يشفي الناس فقد جاء الدين شفاء للناس ولو تناول الإنسان ربع جرعة الدواء ما استفاد منها شيئا.

إن ترتيب أمور الإسلام على غير ما رتبها الشارع الحكيم؛ يجعل الصورة تختل لدى العامة، ويضطرب المشهد السلوكي تبعاً لهذا الاختلال، والهدم هو النتيجة لمن رام البناء .

#### ٧- عدم توفير مناخ آمن تسود فيه حرية مسؤولية:

إن الإنسان لا يبدع إلا في جو من الحرية وتخلف الأمم يرجع لعدم سماع كافة الأقوال، والاستفادة منها والهدهد ذلك المعارض الصغير كان سببا في دخول أمة كاملة إلى الإسلام.

(١) رواه الترمذي، كتاب: أبواب الزهد، باب: منه، ج ٤ ص ٦٠٩، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

إن توفير مناخ آمن للدعاة أن يقولوا النصيحة دون خوف هو في صالح الجميع فما الداعية إلا حامل مصباح للناس، فإن وجد حفرة وجب عليه أن ينبه الناس إليها، وقد يحيط بما لم يحط به الناس فإن الله جاعل للمتقين فرقانا.

#### ٨- تبني رأيا واحدا فقط في مسألة من المسائل:

لا بأس أن يتقلد الداعية مذهبا من المذاهب المعتمدة ويقول برأيه فيها، ولكن عليه أن يأتي بباقي الآراء في المذاهب الأخرى، فأحوال الناس ليست واحدة، ولا مانع أن يقول وأنا أميل إلى هذا الرأي ، ولا يفرض على الناس رأيا واحدا كونه يعتنقه، فالاختلاف مقصود، ومثال ذلك ما يحدث كل عام من تبني إخراج زكاة الفطر من الحبوب والإنكار على من يخالف ذلك ، ومن القواعد ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه فاحتباس الداعية لرأي، وعدم قدرته على الخروج من إطاره هو ما يعطي خطابه صبغة حزبية تضطر المخاطب إلى التكبير باتخاذ موقف نفسي من طرحه، وتقلل من قناعة الجمهور بما يقول، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تخلف الاستجابة من الجمهور.

فيتصدر الداعية أحيانا مجالس الفتوى وتأتيه بعض الأسئلة الخلافية ورأيي في هذه المسألة ألا يذكر رأياً واحداً في المسألة كما يحدث من الدعاة الهواة فيقع السائل في صراع ما بين ما طلبته الفتوى، وما تنادي به نفسه من أمور الفطرة، لاسيما وفي الأمر دليل ومثال ذلك ما سمعته من بعض الدعاة من حرمة الغناء على الاطلاق، وما سمعته في أحد البرامج من أن امرأة تسأل عن أن زوجها يأمرها أن تضع شيئا من الزينة في وجهها تخفي بها بعض عيوب الوجه فأفتاها الشيخ بأنه لا

يجوز فردت المحاوره بأن الرجال تضع مثل هذه الأشياء بطريق مختلف على الشعر مثلا ولا شيء عليه فلماذا لا يبيح الشرع القليل من هذه الأشياء لمداراة بعض عيوب الوجه فرد الشيخ أنه يجب أن يفتي بأعلى شيء في المسألة فالناس ليسوا في مستوى واحد من التدين وفي رأيي أن هذه ليست حجة فالإسلام يسع جميع الناس وقد ورد إباحة شيء من الزينة للتداوي أو ما يشبه هذا وقد قال العلماء أن من ابتلي بشيء من ذلك فليقلد من أجاز.

وهذا ظاهر من كلام الإمام أحمد، فإنه رحمه الله تعالى: سئل عن مسألة في الطلاق؟ فقال: إن فعل حنث، فقال السائل: إن أفتاني إنسان أن لا أحنث. قال: تعرف حلقة المدنيين؟ قلت: فإن أفتوني حل؟ قال: نعم دله على الرخصة. وهذا قلت لكم أنه سائغ عند بعض أئمة الدين، وهذا وارد عن الإمام أحمد أنه في بعض المسائل التي قد يضيق بها الإنسان العامي، فإذا علم المفتي بأن المفتي فلان يخالفه في الرأي ويوسع عليه، حينئذ له أن يدلّه ويقول: اذهب إلى فلان، ولا يخبره بما سيفتيه وإنما يقول: تجد بعيتك عنده إن شاء الله، ولذلك قال هنا: (تعرف حلقة المدنيين؟ قلت: فإن أفتوني حل؟ قال: نعم مع أنه أولاً منعه) (١).

٩- هيبه الجمهور: فمن عوامل إخفاق الداعية هيبه الجمهور، فعندما يبدأ الخطيب يركن الجميع للصمت ويصبح الداعية في بؤرة الانتباه ويبدأ تفكير الجميع فيما يا ترى سيتحدث الخطيب ثم ينظر الخطيب ويقول يجدر بي أن أؤدي بشكل جيد، وهنا يحدث تحفيز فسيولوجي

(١) شرح مختصر التحرير للفتوح أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي (٨/٤٠٩٨).

لمادة الأدرينالين وتخرج دفقة منه وهنا يحدث ما يسمى رهاب الحديد وسببه أن العقل يقول الخطر وشيك وقادم فعند بدء الصعود للمنبر خذ نفساً عميقاً لتهدئ من تدفق الأدرينالين الذي يفرز في مثل هذا الموقف بصورة طبيعية واستفد منه ووظفه من خلال تخيل أنه فقاعة من الطاقة تخرج ما في جسدك<sup>(١)</sup> .

(والجمهور لن يشك مطلقاً أنك متوتر إلا إذا لاحظوا هذا من خلال لغة جسدك لذا عليك بالتحكم في نفسك ولا تخبر الجمهور أنك تشعر بالعصبية أو الرهبة لأنه سيبدأ بالبحث عن الإشارات التي تدل على ذلك لذا استخدم إيماءات واثقة أثناء حديثك)<sup>(٢)</sup> .

وقد علمنا رسول الله ألا نهاب أحدا في الحق فعن أبي مسعود (رضي الله عنه)، قال: أتى النبي (ﷺ) رجلٌ فكلّمه، فجعل تزعّد فرائصه، فقال له: (هُوَ عَلَيَّ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)<sup>(٣)</sup> .

وهنا لابد من معالجة هذا التصور عن طريق السيطرة على هذه القوة الضاغطة عن طريق اقناع العقل أن الأمر سهل ميسور حتى لا يظل تدفق الأدرينالين، ويضيع كل مجهود بذله الخطيب لذلك كان عليه أن يتحدث إلى الجمهور وكأنه شخص واحد، حينها ستتفجر الحكمة لديه ويرى أنه يبدع في حديثه ويقول أشياء لم تكن في حسبانته، ويسأل هل هذا الهام وفتح، أم كلمات كانت مخزونة فتح لها الباب حين زالت هيبة الجمهور.

(١) المرجع السابق، ص ١٩٩ .

(٢) انظر: المرجع الأكيد في لغة الجسد، ألان وباربارا بيبز، ص ٣٤١، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٥ م.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب: أبواب الأطعمة، باب: القديد، ط: المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمّد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، ج ٤ ص ٤٢٠، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م، بيروت .



فينبغي أن نتحدث إلى الجمهور وكأنه شخص واحد حتى لا يصاب بالرهبة وينتابه الحصر والإغلاق، وبدليل أننا إذا تحدثنا مع أنفسنا نكون في منتهى البلاغة، فإذا تحدثنا إلى الجمهور صار حديثاً عادياً وذلك للرهبة التي تعمل على غياب العقل الواعي وحضور العقل العاطفي الفارغ، ومما يقلل من هذا الخوف أن يثق الداعية بنفسه، ويحدث نفسه بهذا فان العقل خادم له، وسوف ينفذ على الفور ما يقول، ثم يحافظ على وضعية جسده بشكل يقول أنا أثق بنفسي، ومما يعزز هذا أن تتخيل أنك تتحدث إلى فرد واحد فقط (فمن الفلسفة البسيطة التي ينبغي تفعيلها هي أنه لا يوجد شيء اسمه الحديث للجمهور بل اجعل الحديث كما يبدو لفرد واحد) (١).

ومما يذهب الخوف النظر الجيد للغة جسد المستمعين وفك شفرتها، فهذا سيعطيك الثقة في نفسك وينهي الغربة التي بينك وبين المستمعين ومن ثم تصبح تفاعلاتك مع الآخرين أكثر انسيابية وسهولة، ومما يعزز هذه الثقة أيضاً التحضير الجيد للموضوع، وأن تجعل حديثك عادياً ولا تتكلف فيه مهما كان أهمية من يسمع لك.

وهناك أشياء أخرى تكون سببا في إخفاق الدعوة منها: العجلة في محاولة قطف الثمرة مما يصيب الداعية باليأس، أو عدم إخلاص الداعية والعمل من أجل الشهرة والمال، أو عدم وجود القدوة بعدم التعامل الحسن مع الناس وغيرها.

(١) انظر تحري من مخاوف المتحدث إلى الجمهور، جانيت وروي هندرسون، ص ٣، ط: مكتبة

### المطلب الثالث

#### آداب الداعية

هناك بعض الآداب ينبغي أن يتحلى بها الداعية منها:

- عدم التبسط والمزاج والإكثار من الكلام:

عدم التبسط والإكثار من الكلام خاصة مع أصحاب الحرف فهذا يؤدي إلى التجرؤ عليك .

(فلا تجالس العامة فان فعلت فأدبه: ترك الخوض في حديثهم، وترك الإصغاء الى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء أفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم، وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرأ عليك، لأن المزمح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه) (١) .

فالإفراط في التبسط للناس يقتل من هيئته الداعية، وقد قالوا: (استكثر من الهيبة صامت) (٢) .

- عدم الغرور من الداعية مهما بلغ علمه:

إن بعض الدعاة نجد عندهم مسحة من الإعجاب والترفع وهذا يصرف الناس عن السماع فالداعية أداة لتبليغ رسالة الله إلى عباده، والذي يضعها في القلب هو الله، فإذا أراد الدعية نجاح دعوته فليخلص

(١) بدائع السلك في طبائع الملك: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، تحقيق: د/ علي سامي النشار، ج٢ ص ٤٧٠، ط: وزارة الإعلام، العراق، الطبعة: الأولى.

(٢) البيان والتبيين، ج ١ ص ٢٢٥، مرجع سابق .

فيها ويستعن بمولاه فأنت لو ركنت إلى نفسك واستغنيت عن الله بمواهبك التي هي من عطاياه فلن تبلغ فتيلاً ولا نقيراً ولا قطميراً، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) (١).

فأنت تؤذن وعلى الله البلاغ، فتبلغ الدعوة قلب المنادى، فعن ابن عباسٍ (رضي الله عنه) قال: (لَمَّا فَرَعَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ قَالَ: رَبِّ قَدْ فَرَعْتُ. فَقَالَ: أَذْنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ. قَالَ: رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أَذْنٌ وَعَلَى الْبَلَاغِ) (٢).

فالشاهد فيه أن الداعية هو سبب لبلوغ الدعوة أما سماعها ووقورها في القلب فهو من الله تعالى. يقول أبو حامد الغزالي . ~ حين أصابه بعض الشك "فأعضل الداء، ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة" (٣). وبذلك فلا داع من مسحة الإعجاب تلك وبديلها شكر تلك النعمة التي أعطاك الله إياها.

(١) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج ٢ ص ٤٢١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه.

(٣) المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، بقلم: الدكتور/ عبد الحليم محمود، ط: دار الكتب الحديثة، مصر، ج ١ ص ١١٥.

### - التعلم من ملاحظات الجمهور:

الجمهور به كل الطوائف فمنهم العامة والمتقنين، فلا يستنكف الداعية أن يقبل النصيحة من بعضهم، ويستمع إليها جيدا ولا ستنكف، وسيجد أنها ملاحظات جوهريّة سوف يستفيد منها كثيرا مع الزمن في مكوّنه العلمي .

### - عدم التسرع في الحكم على الآخرين:

ربما يأتي الداعية من يستفتيه في أمر جلل فليكن بمثابة الطبيب النفسي الذي يعالج مرضاه فإن اشتد عليه في هذه الحالة فربما أصابه النفور فعن عمر بن الخطاب أن رجلاً على عهد النبي (ﷺ) كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله (ﷺ) وكان النبي (ﷺ) قد جلده في الشراب فأتي به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي (ﷺ) (لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) (١) .

### - غاية التلطف في مناصحة أولي الأمر:

النصيحة لها آداب والنقد بحسب من يوجه له، فإذا أمر ونهى أصحاب الجاه والسلطان فليكن في غاية التلطف وتكون في السر فعن أبي سعيد الخدريّ أنّ النبي (ﷺ) قال « إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » (٢) فقال عند ولم يقل في غيبته.

(١) رواه الإمام البخاري، كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج

من الملة، ج ٦ ص ٢٤٨٩، مرجع سابق .

(٢) رواه الترمذي، كتاب: الفتن، باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، ج ٨

ص ٣٤٥ .

قال الإمام/ أبو حامد الغزالي ~: "والجائز مع السلاطين التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لأحاد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر" (١).

وَبَيْنَمَا الرَّشِيدُ يَطُوفُ يَوْمًا بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ غِلْظَةٌ، فَقَالَ: لَا وَلَا نِعِمَّتْ عَيْنٌ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَيَّ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي فَأَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) (٢).

وينبغي أن تكون النصيحة لهم سرًا، فعن أبي وائل قال قيل لأسماءة لو أتيت فلانًا فكلمته قال إنكم لتروون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم، إنني أكلمه في السرِّ دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل أن كان علي أميرًا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله (ﷺ) قالوا وما سمعته يقول قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابته في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي (يا) فلان ما شأنك..... الحديث" (٣).

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج ٢ ص ٣٤٢، ط: دارالمعرفة بيروت.

(٢) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ج ١٠ ص ٢٣٥، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م.

(٣) رواه الإمام البخاري، ك: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، ج ٣ ص ١١٩١، مرجع سابق.





## المبحث الثاني

الدعوة الموازية (الدعاة الجدد)





## المبحث الثاني

### الدعوة الموازية (الدعاة الجدد) (١)

هناك ظاهرة تستحق الدراسة، وهي ظاهرة الدعاة الجدد، والتي مثلت دعوة موازية للدعوة الأكاديمية المختصة في مجال الدعوة، وهذه نظرة سريعة على تلك الظاهرة.

#### المطلب الأول

#### الدعاة الجدد

إن الدعاة الجدد لقب أطلق على بعض الوعاظ الذين لم يدرسوا العلوم الدينية، بل اكتسبوها من خلال الكتب، وأغلبهم من فئة الشباب ممن تلقوا تعليماً في تخصصات لا تتصل بالشرعية الإسلامية، وقد تجد بينهم الطبيب، أو المهندس، أو الإعلامي ممن تتلمذ على الكتب وقد مر بنا خطورة الكتاب الشيخ.

إن هؤلاء يقدمون وجبات خفيفة من النصيحة، والوعظ الديني، وهي أشبه بالأكلات السريعة المحببة للنفس على ما فيها من الضرر، والخطاب الديني عند معظمهم يركز على ملء الجانب العاطفي في الإسلام، والعمل على دغدغة المشاعر، أو التشدد في فروع الدين، حتى يتخيل أن هذا هو الدين، وهذا ما يطلق عليه أفيون الشعوب، وذلك بتخدير الناس بالحكايات والقصص، وتقديمها للناس أنها هي الدين، فاختصر الدين في الحكايات استجاباً لاستحسان الجماهير، وخطورة هذه الحكايات أنها شكّلت وعياً زائفاً، وجعلت المسلم أسير الحكايات، وجعلت

(١) المقصود بالدعاة الجدد هم الوعاظ غير المختصين من خريجي الكليات العامة والذين أخذوا علومهم من الكتب مباشرة أو من شيخ أخذ العلوم من نفس الكتب .

المجتمعات المسلمة تنتظر النصر عن طريق المخلص الموعود، وهم يغطون في سبات عميق، (فلم يثيروا قضية من القضايا الكبرى تمسّ المسلمين، ولم يناقشوا التحديات التي تواجه المسلمين، ولم يقعدوا لفكر إسلامي مستنير، يقبل المدنية ولا يتناقض مع الإيمان، لذلك أصبح الدين مفرغاً من مضمونه، وأهدروا الوقت في إبقاء المشاهدين)<sup>(١)</sup>.

إن الخطاب الديني الذي يتبناه هؤلاء لا ينزع إلى القضايا الكبرى التي تهم المجتمع والتحديات التي تقابله، والعمل على التقدم في شتى المجالات، والدفاع عن مقومات الأمة.

وتكمن مخاطر هذا النوع من الخطاب في تحويل الدين إلى سلعة همها الأساسي هو إرضاء المتلقي، ويعتمد على بعد اقتصادي نفعي في استخدام الدين لتحقيق مكاسب اجتماعية واقتصادية، وطريق للشهرة والنجومية.

إن الخطاب الديني الذي لا يتضمن أي بعد تجديدي في جوهر الفكر الإسلامي . عدا التركيز على الشكل . سواء في مظهر الداعية الذي يتسم بالعصرية والأناقة، وأسلوبه المرح، واستخدام تقنية سرد القصص، وتوظيف التكنولوجيا، والمادة البصرية في عرض المحتوى، بالإضافة إلى توظيفهم للغة الجسد، ومهارات التنمية البشرية، والاستغلال الجيد لمواقع التواصل الاجتماعي، وتكنولوجيا الاتصالات، ولا يحملون إلا تغييراً في الشكل بالطرق التمثيلية، واستخدام لغة سهلة بسيطة ومفردات تواكب

(١) انظر اتجاهات الجمهور والنخب الدينية نحو ظاهرة الدعاة الجدد في الفضائيات العربية دراسة ماجستير مقدمة من الباحثة: أسماء السيد على كلية الآداب قسم الإعلام جامعة أسيوط ص ١٦٠ وما بعدها.

العصر، هذه ليست الروح الذي سمي الله (ﷻ) في القرآن الكريم، فالناس لا تحيا بجزء من العلاج، ولا بد من أخذ الجرعة كاملة.

إن تلك الطريقة قد تكسب أعدادا قليلة من المتابعين وهذا ما أكدته هذه الدراسة فمنذ سنوات خرجت رسالة ماجستير تؤكد متابعة بعض المصريين للدعاة الجدد، والتي طبقت على (٣٠٠) من عامة المصريين، و(٧٠) من مختلف النخب وعلى عكس ما يتوقعه الكثيرون كان الإقبال يتصاعد في صفوف النخبة أكثر من الجمهور العادي وأوضحت الدراسة أن نسبة النخب الحريصة على متابعة الدعاة الجدد تصل إلى ١٧٪ بينما لا تزيد نسبة العامة عن ١٠٪، وهذه نسبة قليلة أكدت دراستي في هذا البحث كما سيأتي في الدراسة الميدانية والسؤال الآن هو لماذا هؤلاء الدعاة الهواة قد يستميلون بعض الناس أحيانا وتأتي الإجابة من خلال هذه الدراسة وهي لأنهم يعتمدون على مخاطبة عواطف المتلقي أكثر من عقله بتركيزهم على القصص القرآني والرقائق، وعلى جانب الترغيب وليس الترهيب، وبالتالي فهم يطرحون التدين كنمط أمثل للحياة السعيدة في الدنيا، مبشرين بالرحمة والمغفرة، وهي وجبات خفيفة محببة للنفس ليس فيها ما يحمل هم الأمة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: اتجاهات الجمهور والنخب الدينية نحو ظاهرة الدعاة الجدد في الفضائيات العربية دراسة ماجستير مقدمة من الباحثة: أسماء السيد على كلية الآداب قسم الإعلام جامعة أسيوط ص ٣٨٤ وما بعدها.

وقد منحت جامعة أسيوط درجة الماجستير للباحثة أسماء السيد حسين، قسم الإعلام كلية الآداب، جامعة أسيوط، وذلك عن دراستها البحثية بعنوان: "اتجاهات الجمهور والنخب الدينية نحو ظاهرة الدعاة الجدد في الفضائيات العربية"، التي أشرف عليها أ.د/ صابر حارص، أستاذ الإعلام، بجامعة سوهاج أن الدراسة توصلت إلى متابعة المصريين ٥٨ من الدعاة الجدد، مُشيرًا إلى أن معدل متابعة برامج الدعاة الجدد بالفضائيات

ويبدو أن صلاحية «الدعاة الجدد» قد أوشكت على الانتهاء في ظل ما شهدته ظاهرة من أفول بعد توهج على إثر الأزمات المتتالية التي لاحقت أبرز هؤلاء الدعاة.

إن الرهان الآن على مؤسسة الأزهر الشريف ودعاتها في القيام بتجديد الخطاب الديني بلغة سهلة وبسيطة يستوعبها الناس كحامين للتدين الوسطي، وتأهيل الكوادر الدعوية وتقلدهم بالمناهج الحديثة، فهناك حاجة ملحة وضرورية لرجل دين عصري مواكب لتحولات عالمان، ومجتمعنا يتمتع بعقلية نقدية وثقافة وإطلاع.

إن ظاهرة الدعاة الجدد أدى إلى تعاظم جانب معين من جوانب الدين على حساب باقي الدين مما خلف تشدداً في بعض جزئياته الفرعية

=العربية يتزايد لدى النخبة أكثر منه لدى الجمهور العادي عكس ما يتوقعه الكثيرون، وأظهرت الدراسة، أن مصطفى حسنى يتقدم الدعاة الجدد تفضيلاً لدى العامة بينما يتقدمهم الشيخ محمد حسان لدى النخب الدينية، وأن عمرو خالد يأتي في المرتبة الثانية لدى كل من العامة والنخب الدينية. وأوضح حارص أن تفضيل المصريين للدعاة الجدد يتفاوت من فترة زمنية لأخرى، مُشيراً إلى نتائج دراسته التي أجراها ٢٠٠٨م على الدعاة الجدد، كشفت عن تصدر عمرو خالد للمرتبة الأولى. والشيخ/ محمد حسان للمرتبة الثانية. وأضاف حارص أن نتائج دراسته أبرزت أن عدداً من الدعاة الجدد الذين يحظون بحرص المصريين على متابعتهم مثل شريف شحاتة، معتز مسعود، محمود المصري، رمضان عبد المعز، محمد حسين يعقوب، محمد العريفي، عبلة الكحلوي، أبو إسحق الحويطي، خالد الجندي، عمر عبد الكافي، الحبيب الجفري، حازم شومان. وقال حارص: إن نتائج أطروحة الماجستير التي أشرف عليها أكدت نفس نتائج دراسته التي أعدها منذ سبع سنوات ونشرتها مجلة البحوث الإعلامية بجامعة الأزهر، لافتاً إلى أن اعتماد الدعاة الجدد على أساليب القصص الديني والسير وضرب الأمثال والتشويق والإثارة والتفاؤل والترغيب بالرحمة والمغفرة والميل إلى المزمج والنكات وربط الدين بالحياة وتبسيط المعاني واستخدام الصور واللغة السهلة ولغة الجسد، هي أهم أسباب تأثير الدعاة الجدد على المصريين. جريدة الأهرام ٢٩ مارس ٢٠١٥ واليوم السابع السبت، ٢١ مارس ٢٠١٥، ٨: ٥١.

على حساب الكليات الدينية وهو ما أدى إلى شرخ في السلوك من خلال التشدد أحياناً، أو النزول به إلى درجة من الهبوط والتفريط أحياناً أخرى. ويبدو أن ملء هذا الفراغ بهذه الصورة كان مقصوداً في وقت من الأوقات فطرح هذا النمط الجديد من الدعاة ربما كان لسحب البساط من تحت أقدام العلماء الراسخين، والسيطرة على ملايين البسطاء.

إن هذا الفن له أهله والذي يحتاج إلى أدوات معينة لاستخراج الحكم المستفاد من خلال الضرب في النص، واستخراج الأحكام منه، ولكن الفراغات الكثيرة التي نجح الدعاة الجدد في ملئها تحتاج إلى العمل والجهد لمواجهة هذه الدعوة الموازية.

## المطلب الثاني

### لكل فن رجاله

هناك ظاهرة قديمة أرقت العلماء من قديم، وهي تعرض بعض الناس للفتوى، ومجالس العلم وهم غير مؤهلين لذلك، مع عدم احتراز العامة، والتهاون في الاعتماد على غير المختصين المؤهلين لذلك، ولكن كان ينبغي أن يحترزوا للقضايا الدينية كما يحترزون للقضايا الدنيوية المختلفة في الطب والهندسة. فالناس تحترز لطبيب الأبدان، ولا تحترز لطبيب الأديان، مع أن مدار حفظ الأكوان علي طبيب الأديان، فالعجب أن الناس تحتاط لأجسامها، ولا تحتاط لعقولها وأرواحها.

قال ابن حزم: (لَا آفَةَ عَلَى الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا أَضْرَ مِنَ الدِّخْلَاءِ فِيهَا وَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا فَإِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَيُفْسِدُونَ وَيَقْدِرُونَ أَنَّهُمْ يَصْلِحُونَ) (١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وليس لكل من حاز شهادة أي شهادة يحل له ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولو كان الكلام في العلم والدين بالولاية والمنصب لكان الخليفة والسلطان أحق بالكلام في العلم والدين. وبأن يستفتيه الناس ويرجعوا إليه فيما أشكل عليهم في العلم والدين. فإذا كان الخليفة

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ط. دار الافاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج ١ ص ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية (١١٦).

والسلطان لا يدعي ذلك لنفسه ولا يلزم الرعية حكمه في ذلك بقول دون قول إلا بكتاب الله وسنة رسوله: فمن هو دون السلطان في الولاية أولى بأن لا يتعدى طوره<sup>(١)</sup> .

وكان مالكٌ . ~ يقول: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. قال: ولقد أدركتُ سبعينَ مَمَّنْ يقولُ: قال رسولُ الله (ﷺ) عند هذه الأساطين . وأشار إلى المسجدِ مَسْجِدِ رسولِ الله . (ﷺ)، فما أخذتُ عنهم شيئاً، وإنَّ أحدهم لو أوْتُمِنَ على بيتِ مالٍ لكان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشَّانِ)<sup>(٢)</sup> .

وهذا ما ذكره الشيخ محمد الغزالي . ~ قال: (قرأت كتاباً لأحد المهندسين يفسر حقيقة الصلاة تفسيراً لم يعرفه المسلمون طوال أربعة عشر قرناً، فعجبت لهذا الحمق في خرق الإجماع، وقلت: أما يجد هذا المخترع مجالاً لذكائه في ميدان الهندسة ليتقدم فيه بدل أن يشغل نفسه ويشغلنا معه بهذه التوافه)<sup>(٣)</sup> .

إن دين الله تعالى للجميع، ولكن لا يتكلم به إلا أهله، فلكل فن رجاله فالحائك يصنع الثوب، ولو أعطيته لآخر . لم يتمرس تلك الصنعة . ما استطاع ولو امتلك أدوات الحياكة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ

(١) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی (المتوفى:

٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج ٢٧ ص ٢٩٦ .

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري

الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قرأه وعلق عليه: محمد بن الحسين السليمانى، وعائشة

بنت الحسين السليمانى، قدّم له: يوسف القرضاوى ط. دار الغرب الإسلامى، الطبعة

الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج ١ ص ٣٣٥ .

(٣) ليس من الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٥٦ .

الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَاللَّيْلِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾<sup>(١)</sup> وليس لكل أحد أن يستنبط إلا إذا تعلم تلك المهارة، وامتنك أدواتها فمن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب كما قال ابن حجر في الفتح "وَإِذَا تَكَلَّمَ الْمَرْءُ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِهِذِهِ الْعَجَائِبِ" (٢).

والتعلم لا يكون إلا عن تلمذة، فمن كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه وهذا ما حكاه الإمام النووي . ~ . فقال: (وَلَا يَحْفَظُ ابْتِدَاءً مِنَ الْكُتُبِ اسْتِقْلَالًا بَلْ يُصَحِّحُ عَلَى الشَّيْخِ كَمَا ذَكَرْنَا فَلَا اسْتِقْلَالَ بِذَلِكَ مِنَ أَضْرِّ الْمَفَاسِدِ: وَاللَّيْ هَذَا أَشَارَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ مَنْ تَفَقَّهَ مِنْ الْكُتُبِ ضَيَّعَ الْأَحْكَامَ) (٣).

ويقول أيضاً: (وَلَا يَكْفِي فِي أَهْلِيهِ التَّعْلِيمُ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْعِلْمِ بَلْ يَنْبَغِي مَعَ كَثِيرَةِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ الْفَنِّ كَوْنُهُ لَهُ مَعْرِفَةٌ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْفُنُونِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ وَيَكُونُ لَهُ دُرْبَةٌ وَدِينٌ وَخُلُقٌ جَمِيلٌ وَذَهْنٌ صَحِيحٌ وَاطِّلَاعٌ تَامٌ: قَالُوا وَلَا تَأْخُذُ الْعِلْمَ مِمَّنْ كَانَ أَخَذَهُ لَهُ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ عَلَى شَيْوِخٍ أَوْ شَيْخٍ حَادِقٍ فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا مِنَ الْكُتُبِ يَقَعُ فِي النَّصْحِيفِ وَيَكْتُرُ مِنْهُ الْغَلْطُ وَالتَّحْرِيفُ) (٤).

والأزهري يتكون لديه ملكة تلقائية يتعلمها من الوسط الذي يعيش فيه، فيتعلم المنهج الوسطي في أم المسائل التي يتشدد فيها البعض والتي انتهت عند علمائه إلى رأي معتدل فيكتسب ملكة الوسطية والعلم

(١) سورة النساء، الآية (٨٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، الدُّعَاءُ عِنْدَ الْجَمْرَيْنِ أَيْ وَبَيَانَ مِقْدَارِهِ، ج ٣ ص ٥٨٤.

(٣) المجموع شرح المذهب "مع تكملة السبكي والمطيعي"، ط. دار الفكر، ج ١ ص ٣٨.

(٤) المجموع شرح المذهب، ج ١ ص ٣٦.



جميعاً من هذا الوسط بطريق مباشر من الأستاذ، أو غير مباشر عن طريق المناقشة والحوار مع زملائه من الطلاب فتجده في فتواه غير متطرف فيها متأثراً بشيوخه، سمعت مرة الأستاذ الدكتور/ طلعت عفيفي . حفظه الله . يقول عن تعدد زوجات النبي (ﷺ) أنه زوج ولم يتزوج فهذه فتوى من ثلاث كلمات اختصرها اختصاراً ومعناه أن النبي زوجه الله عدداً من النساء إكراماً لهن في الدنيا بكونهن أمهات للمؤمنين وفي الآخرة بجواره في المنزلة العلية واختار له نساء أرامل ومطلقات اختار كل واحدة منهن لسبب من الأسباب المعلومة في كتب السيرة، ولكن لا تجد عند غيره هذه الملكة ممن تعلم خارج أروقتة وممن كان شيخه كتابه وغالباً ما يتطرفون في فتواهم وقد سمعنا فتاوى من غير المختصين يقف لها الشعر ويقطب لها الجبين منها مثلاً ما أفتاه الشيخ/ الألباني أن الصور الفوتوغرافية هي المرادة من الأحاديث التي وردت السنة بتحريمها فقال: أن التصوير الفوتوغرافي أشد تحريماً من التصوير اليدوي<sup>(١)</sup> ومعروف أن التصوير الفوتوغرافي ما هو إلا انعكاس للوجه الذي خلقه الله فلم يضاهاى خلق الله ولا شيء إن هذا التزوير للفتوى يفسد العقل المسلم لأنه يتعود على اللامنطق ثقة في شيوخه الذين يلتزمهم. وهذا له من قبيح الأثر على النفس والعقل بأن يصير عنده اعوجاج في الفهم وحول في الفكر كما قال عليّ (عليه السلام): (حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ)<sup>(٢)</sup> والمراد بقوله بما يعرفون أي يفهمون وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره

(١) بوابة صوتيات الإمام/ الألباني، تاريخ الدخول الجمعة ٢٠٠٢/٨/٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: مَنْ حَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةٌ أَنْ لَا يَفْهَمُوا .

(ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه) <sup>(١)</sup> ومثله قول بن مسعود: (ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) <sup>(٢)</sup> قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> .

أين هذا من فتوى الشيخ/ عطية صقر . ~ . في الغناء والموسيقى مثلاً قال: (الموسيقى في حد ذاتها والغناء في حد ذاته ليس بحرام وإنما بحسب ما تعرض لهما إذا كان الاستعمال في شيء محرم أو غير محرم <sup>(٤)</sup> فهذا منتهى الإيجاز والوضوح في نفس الوقت، فكلّ علمٍ يَخْتَصُّ بِاسْتِعْدَادِ وَلَهُ أَهْلٌ، فَإِذَا وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَقَدْ ظَلَمَ) <sup>(٥)</sup> .

فالواجب أن يكون لكل فن رجاله وعلى هؤلاء ألا يتصدوا للفتوى فهي صناعة لا يعلمها إلى من ورث أدواتها ويكتفي أن يتحدثوا في الترغيب والترهيب في محيط قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ <sup>(٦)</sup> فنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أشبه بالمواد الخام التي يلزمها أن تحاك بأدوات الفهم وهي علوم الآلة التي يملكها العالم كما يصنع المحترف مع المادة الخام فيحولها إلى صناعة

(١) فتح الباري، لابن حجر، ط: دارالمعرفة ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) رواه مسلم، كتاب: المقدمة، باب: النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ج ١ ص ٩ .

(٣) سورة النحل، الآية (١١٦) .

(٤) الفتوى موجودة على البيوتوب .

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا

الهروري القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، ط: دارالفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ -

٢٠٠٢م، ج ١ ص ٣٠١ .

(٦) دعاة السوبر ماركت، وائل لطفي، ص .

جميلة، أو خلطة من الدواء الشافي لكن ذلك لا يكون إلا عن علم ومعرفة ودراسة .

وخوض الدعاة الجدد هذا الخضم أدى إلى عدم اكتمال الرؤية لدى الناس، وإلى التشدد أحياناً عند بعضهم ويطلق على هؤلاء خطباء أو قصاصين وليسوا علماء ويكثر هؤلاء في آخر الزمان، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: (إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ يُطِيلُونَ الْخُطْبَةَ وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ) (١) .

(١) رواه أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني في مصنفه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي كتاب: الصلاة، باب: الأُمراء يُؤخِّرون الصَّلَاةَ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ج ٢ ص ٣٨٢ .

## المطلب الثالث

## التخصص مطلوب

إن من الملاحظ أنه قلما يحسن الإنسان فنين معا فإن كان مهندساً أو طبيباً لا يحسن فناً آخر غير الذي درس وتخصص فيه وذكر العلامة ابن خلدون ذلك في مقدمته فقال: (إن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت في نفسه، فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء، إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها، والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان، فلا تزدهم دفعة. ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها. فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف. وهذا بين يشهد له الوجود. فقل أن تجد صاحب صناعة يحكمها، ثم يحكم من بعدها أخرى، ويكون فيهما معاً على رتبة واحدة من الإجابة. حتى إن أهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة) (١).

فيقولون إن الدين سهل يفهمه كل إنسان ولا يحتاج إلى تخصص قلت هذا كلام صحيح في المبادئ العامة للدين، لكن استحداث المسائل تحتاج إلى مشروط عالم لجراحة دقيقة وهي إخراج فتوى الظرف، فقد يكون النص صحيحاً، ويخرجه الظرف عن الحكم، حتى في فروع ذلك العلم الشريف، وإذا كان النبي (ﷺ) جمع بين الدعوة، والفتوى، والقضاء فذلك لرسالته المنوط بها (ﷺ)، ولكن مع تغير الزمان جعل الناس يتخصصون

(١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، ج ١ ص ٢٢٨.

حتى في تلك الفروع، وبدأت ملامح تلك التخصصية في عهد عمر (رضي الله عنه) وذلك عندما فصل القضاء عن الإمامة، ثم استحدث بعد ذلك فصل بين فروع الدين مجتمعة وصار هناك تخصص في كل فرع من فروع هذا العلم الكريم .

وإذا كانت ضرورات العصر اقتضت أن يكون لكل فن له رجاله كان الأولى برجال الدعوة المؤهلين . ممن اجتهدوا وأجادوا . ملء الساحة، وذلك بالتدريب على فنون القول، واستخدام الوسائل التي تخدم الدعوة من لغة الجسد، ونبرة الصوت ومن العوامل الحديثة المؤثرة من وسائل العرض البصرية ليواكب العصر في سرعته ومعالجة الأكاديمية ليخاطب الناس بلسان قومه، وإلا كنا في ذيل القافلة فالحياة لا تنتظر أحدا، وقد اقتضت سنة الله تعالى أن يصطفى لدينه من يشاء إذا قصر أهله، والواقع المؤلم يشي أن الساحة تركت من المختصين فساح فيها الهواة .





**المبحث الثالث**

**الدراسة الميدانية**





## المبحث الثالث

## الدراسة الميدانية

قمت باستطلاع رأي بعض الناس من شرائح مختلفة عن رأيهم في نجاح الدعاة وهل نجح ذلك في تغيير سلوكهم.

وقد أتممت الدراسة الميدانية في خطوات:

. قمت بمراجعة الاستبانة مع اثنين من الأساتذة<sup>(١)</sup> المختصين في

المجال وقد وجهاني بما يأتي:

١- ينبغي أن تكون العبارة تقريرية وليست على هيئة سؤال لأن العبارة لو وجهت مباشرة للمبحوث على طريقة سؤال قد يسقط المبحوث الاستبانة على نفسه فيتجمل في الإجابة، فيعطى إجابة غير واقعية مما جعل الباحث يغير الأسئلة إلى جمل تقريرية.

٢- ينبغي أن تشتمل العبارات على الموضوع كله والتي تضمنت قياس نجاح الدعاة الأكاديميين مقارنة بغيرهم من الدعاة الجدد.

٣- ينبغي أن يقسم الموضوع إلى عدة محاور كل محور تحته بعض العبارات.

٤- ينبغي أن تكون بعض العبارات سلبية وبعضها إيجابية لقياس المصادقية.

٥- جاءت الاستمارة في صورتها المبدئية مشتملة على "٢٠" عبارة وبعد تقديمها إلى مجموعة من المحكمين المختصين في مجال الدعوة

(١) هو فضيلة الدكتور/ عبد الله السيد، أستاذ علم النفس المساعد، كلية الآداب جامعة أسيوط، والأستاذ الدكتور/ هيثم عبدالمجيد محمد، أستاذ المناهج وطرق التدريس المساعد جامعة المنيا .

- ومن المشهود لهم بالكفاءة، جاءت الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من "١٦" عبارة حيث رأى أكثر المحكمين حذف بعض العبارات التي يمكن أن تكون غير معلومة للبعض
- أ- ج . اشتملت الاستمارة على محورين المحور الأول: مدى نجاح الدعاة الأكاديميين في تغيير سلوك الناس، والمحور الثاني: مدى نجاح الدعاة الجدد في تغيير سلوك الناس
- ب-د . قمت بتجريب الاستمارة على بعض المبحوثين أولاً وتم بعض التعديل بعد ذلك.
- ج-هـ . قمت بمقابلات حية بعد صلاة الجمعة وخلال بعض اللقاءات العامة وسؤال الناس بصورة عشوائية عن بعض الأشياء مثل ما هو موضوع خطبة اليوم وماهي استفادتك من الموضوع؟ وهل تتذكر خطبة الجمعة الماضية وما شابه من تلك الأسئلة.

### المعالجة والتحليل

#### أهم استنتاجات الاستبانة.

- ١- إن غالب الناس يفهم خطبة الجمعة، ولكن أحياناً يستفيدون منها كما في العبارة الثانية والأولى على هذا الترتيب.
- ٢- أحياناً يتأثر الناس بخطبة الجمعة وغالباً ما تكون تلك الخطب المؤثرة سبباً في تغيير سلوك الناس ونادراً ما يفعل ذلك الدعاة الجدد كما في العبارة الخامسة والسادسة والسادس عشر على الترتيب.
- ٣- غالباً ما يحرص الناس على سماع خطباء المؤسسة الرسمية "الأزهر الشريف" ونادراً ما يفعلون ذلك مع الدعاة الجدد كما في العبارة التاسعة والرابعة عشر على هذا الترتيب.

- ٤- الإعلام ما استطاع غالباً أن يشوه الرموز الدينية رغم الحملات القوية في هذا الجانب، ونادراً ما استطاع أن يمحو ما يسمعه الناس من خطيب الجمعة كما في العبارة الثالثة والرابعة على الترتيب.
- ٥- غالباً ما يحضر الناس خطبة الجمعة من أولها، ويحرصون على ذلك أسبوعياً كما في العبارة العاشرة.

### دراسة حية:

لقد قمت بمقابلات حية لبعض الناس بعد صلاة الجمعة، ومن خلال بعض اللقاءات العامة، وسؤال الناس بصورة عشوائية عن بعض الأشياء حول خطبة الجمعة مثل ما هو موضوع خطبة اليوم؟ وماهي استفادتك من الموضوع؟ وهل تتذكر خطبة الأسبوع الماضي؟ والحقيقة أن البعض كان يجيب والبعض الآخر لا يتذكر حتى عنوان الخطبة، لكن الأغلب كانوا لا يتذكرون موضوعات الخطب الماضية، وكان هذا يحتاج إلى علاج وهو كيف أجعل المستمع لا ينسى ليظل منتفعاً بما يسمع، وقد عالجت شيئاً من ذلك خلال البحث والله الحمد والمنة.

### نتيجة البحث الميداني

فيما أرى أن النتيجة إيجابية جداً على عكس ما توقعت من فرضيات قبل البحث من أن معظم الناس قد مات، ولم يعد فيهم خير لاسيما وتلك الحملات الشديدة على الناس ليل نهار تأخذهم عن الطريق، وإمطار الفتن آناء الليل وأطراف النهار من وسائل الإعلام، ولكن كانت النتيجة مفاجأة وهي أن الناس لا يزالون بخير، وما زال الخير في أمة النبي (ﷺ) وإلى قيام الساعة، وهذا يدل على أن الله حافظ دينه مهما مكر أهل الأهواء بالناس، والله الحمد والمنة.

## ملحقات الدراسة الميدانية

## استمارة الاستبيان

## قياس مدى نجاح الدعاة الأكاديميين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

يقوم الباحث الدكتور/ إبراهيم على أحمد، باستطلاع الرأي حول "أثر الدعوة الأكاديمية التخصصية على العامة مقارنة بالدعاة الجدد" (١) وذلك من خلال الواقع وحيث إنكم من المشهود لهم بالكفاءة، لذا أرجو منكم إعطاء الرأي من منطلق خبراتكم في المجال، ولسيادتكم جزيل الشكر.

ج

م	العبارة	غالباً %١٠٠	أحياناً %٥٠	نادراً %٢٥
١	أستفيد كثيراً من خطباء وزارة الأوقاف			
٢	أفهم معظم الخطب التي أحضرها .			
٣	تشويه الرموز الدينية خلق بداخلي رأياً كاذباً تجاه الدعاة .			
٤	الإعلام يمحو ما أسمع من خطب ودروس كل أسبوع .			
٥	أتأثر بجميع الخطب التي أحضرها .			
٦	خطب الجمعة كان لها فضل كبير في تغيير سلوكي للأفضل			

(١) هم الوعاظ غير المختصين من خريجي الكليات العامة والذين أخذوا علومهم من من الكتب مباشرة أو من شيخ أخذ العلوم من نفس الكتب .

م	العنوان	غالباً %١٠٠	أحياناً %٥٠	نادراً %٢٥
٧	أتذكر عنوان موضوع خطبة الأسبوع الماضي.			
٨	أتذكر معظم موضوعات الخطب التي حضرتها في الماضي			
٩	أحرص على سماع الداعية الأزهرية أكثر غيره من الدعاة الجدد .			
١٠	أحرص على حضور الخطبة من أولها .			
١١	أحرص على حضور الدروس الدينية في المساجد .			
١٢	أخرج بحصيلة كبيرة من المعرفة من خطبة الجمعة .			
١٣	أحرص على سماع خطيب معين كل جمعة .			
١٤	أحرص على سماع المقاطع الدينية للدعاة الجدد في وسائل التواصل الاجتماعي .			
١٥	أسمع للمقاطع الدينية للدعاة الرسميين في وسائل الإعلام.			
١٦	استطاع الدعاة الجدد تغيير سلوكي إلى الأفضل.			

### قياس أثر الدعاة الأكاديميين على السلوك

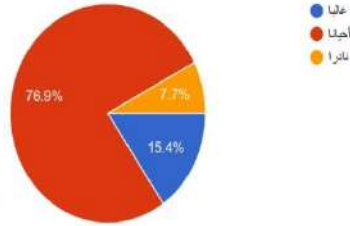
13 ردًا

نشر التحليلات

نسخ

استفيد كثيرا من خطباء وزارة الأوقاف

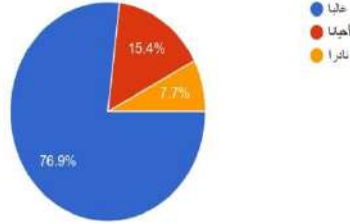
13 ردًا



نسخ

أفهم معظم الخطب التي أحضرها

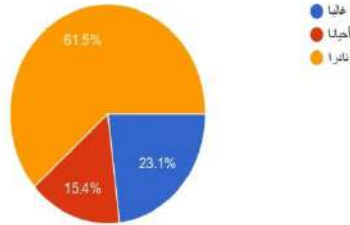
13 ردًا



نسخ

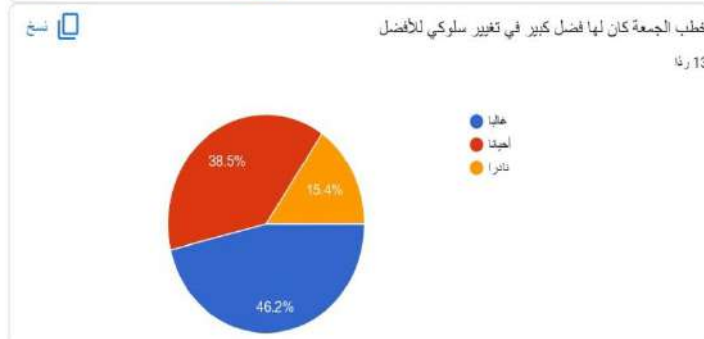
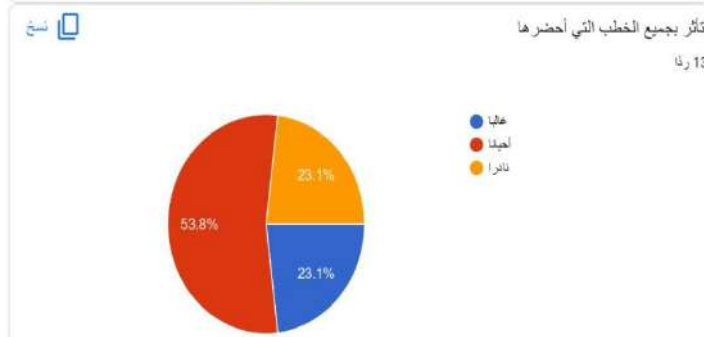
تشويه الرموز الدينية خلق بداخلي رأيا كاذبا تجاه الدعاة

13 ردًا



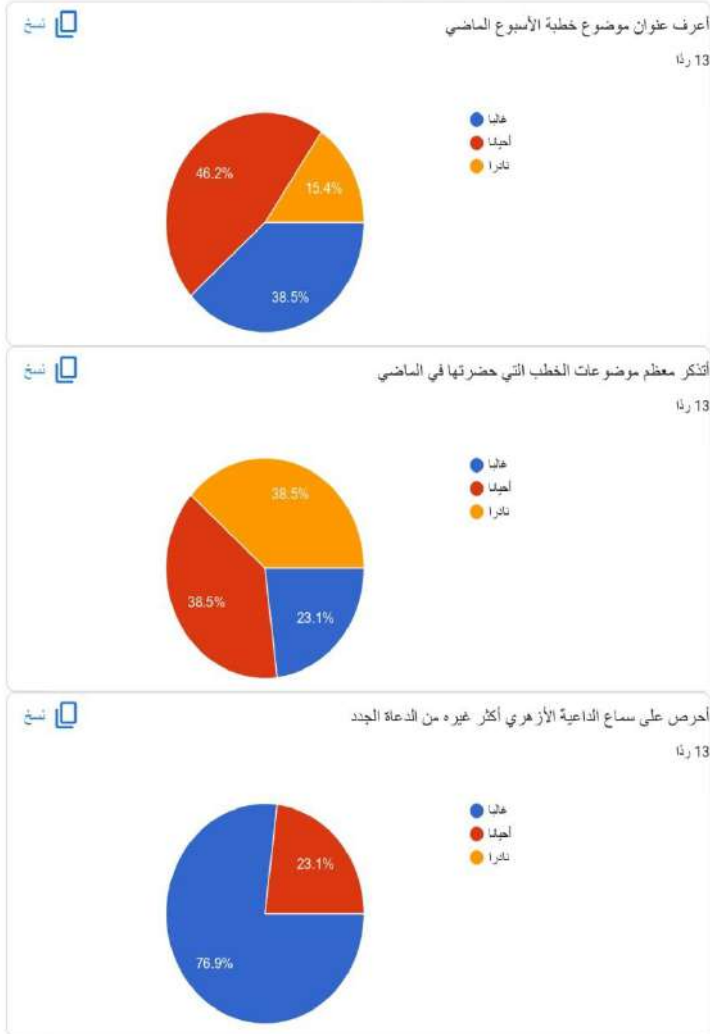
8/26/22, 10:32 AM

قبل ان الدعاء الاكاديميين على الشركه



8/26/22, 10:32 AM

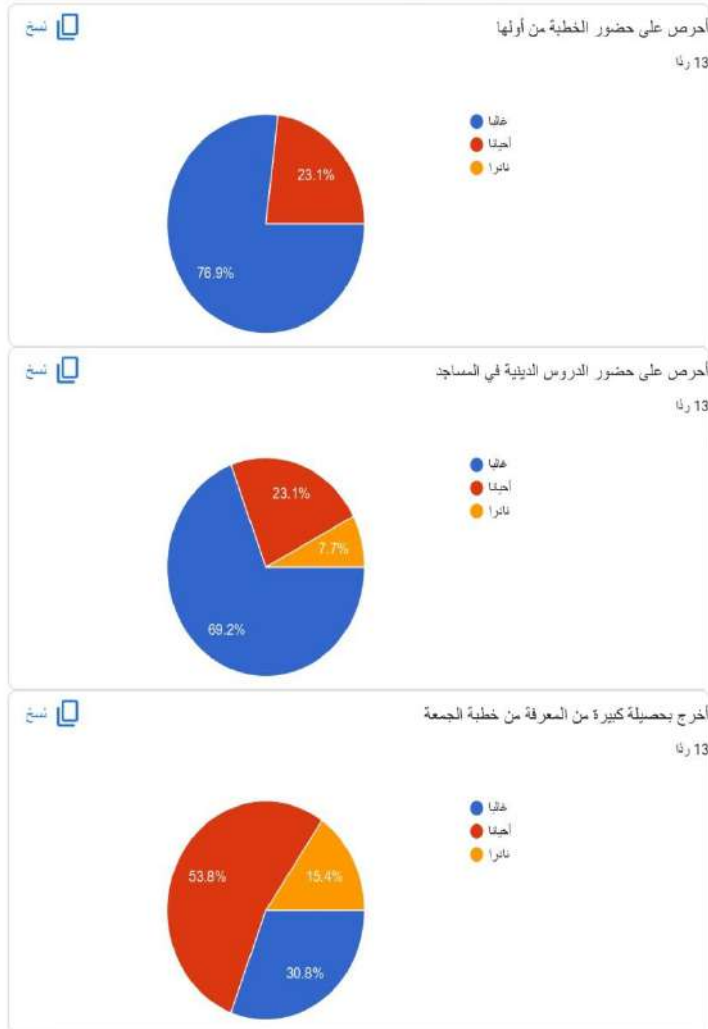
فواز أقر الدعوة الأكاديميين على الشرفاء





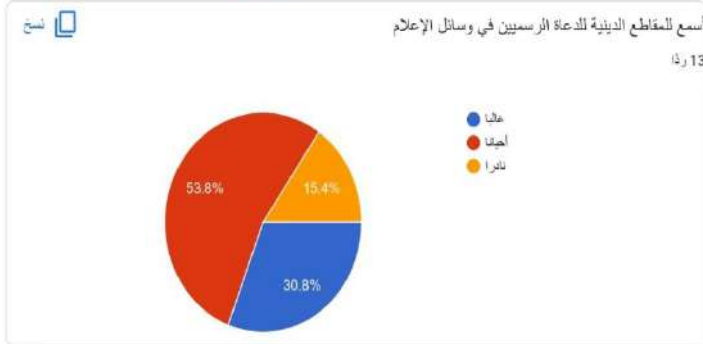
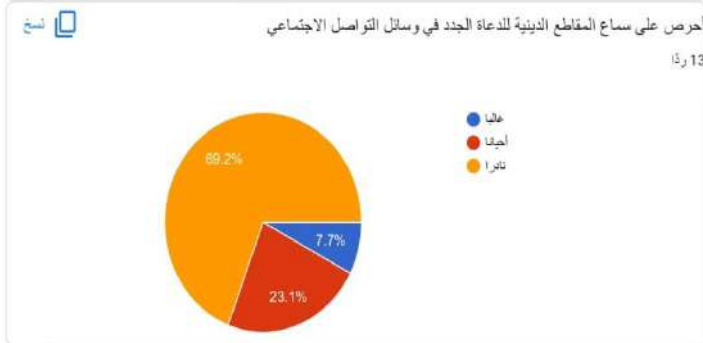
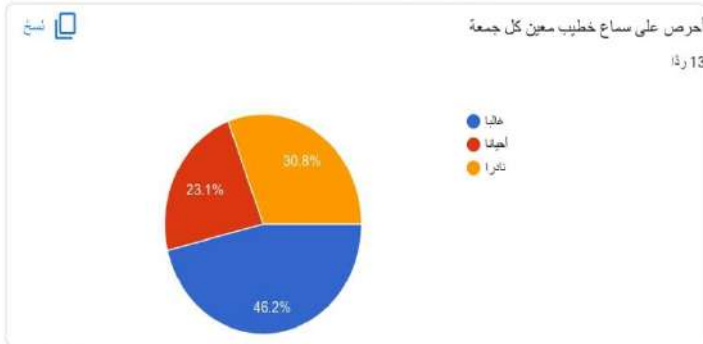
8/26/22, 10:32 AM

قياس أثر الدعاة الأكاديميين على الشرك



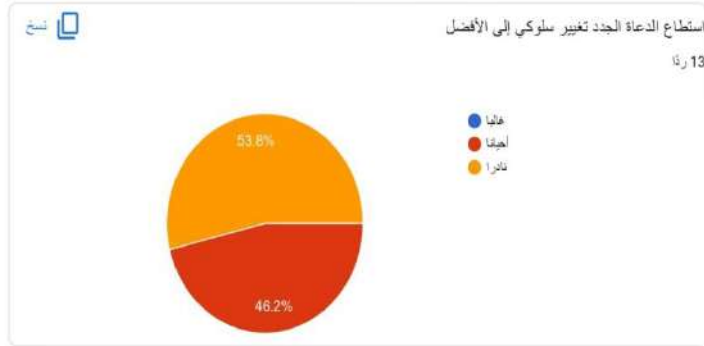
8/26/22, 10:32 AM

قبيل أثر الدعوة الأكاديمية على السواد



8/26/22, 10:32 AM

قياس أثر الدعاة الكنديين على سلوكه



لم يتم إنشاء هذا المحتوى ولا استخدامه من قبل Google. الإبلاغ عن إساءة الاستخدام - شروط الخدمة - سياسة الخصوصية

نماذج Google



## الخاتمة

قد طوفت من خلال صفحات هذا البحث حول أهمية الدعوة التخصصية إلى الله تعالى، وقد تم التوصل من خلال البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات التالية:

### أولاً: النتائج:

- ١- ثقة الناس في علماء الأزهر أكثر من غيرهم من الدعاة الهواة
- ٢- قوة تأثير الوحي على الناس شريطة اتباع طريقة القرآن في الدعوة.
- ٣- الخطابة حرفة ينبغي تعلمها بالكسب، ومن عرف قوانينها امتلك عصا موسى وشرق وغرب بالناس وسمعوا له وأطاعوا.
- ٤- تأثير الخطابة الحالية على الناس متوسط لكنه أحسن حالا من تأثير الدعاة الهواة.
- ٥- تغير السلوك ليس بكثرة الخطب والدروس ولكن بالكيفية التي يقال بها الدرس والخطبة.
- ٦- أهمية لغة الجسد في الدعوة إلى الله وتأثيرها القوي على الناس.

### ثانياً: أهم التوصيات:

#### تأسيس مرجعية موحدة للعمل الدعوي الإسلامي:

المرجعية موجودة الآن تقوم بها وزارة الأوقاف وهي تقوم بتوحيد الخطاب الدعوي فيقال الموضوع في وقت واحد، فيكون التأثير أوعي لكن يحبذا لو كان حسب منهجية معينة يقدم فيها الأولويات فتكون بمثابة دورة تدريبية أسبوعية يستفيد منها الناس ولا توزع على الدعاة موضوعات عشوائية، لكن وتكون بحسب ترتيب أولويات الدين من العقيدة والشريعة من

الاخلاق وإحياء فقه الأولويات، وتربية العاملين للإسلام عليه، وفقه الأولويات هو فهم وإدراك رتب الأعمال والمشاريع الدعوية، ووضع كل شيء منها في مرتبته بالقسط، ثم تقديم الأولى فالأولى عند الازدحام، بناءً على ضوابط ومعايير شرعية صحيحة يهدي إليها العلم بالشرع والفهم للواقع .

- المشاركة الفعالة عن طريق النشر من خلال موقع إسلامي جديد تابع للمؤسسة الرسمية " الأزهر الشريف" لتذكير الناس بعبادة يحين وقتها قريباً كصيام عاشوراء والأيام البيض وأحكام فقهية يحين وقتها كالحج وصيام رمضان وتنبيه الناس على بدعه أو منكر أو خطأ يقع فيه بعض الناس وتنبيه الناس على منكر معين والمساعدة الفعلية في محاولة إزالته تنبيه الناس على خطأ وقع فيه صاحب مقال في حدود آداب الإسلام في الحوار والنصيحة والتي هي أحسن وعظ الناس وتذكيرهم بالله عز وجل والتنويع في كل مرة ما بين آية وحديث وموعظة وقصة وتفنيد خبر كاذب أو إشاعة باطلة بالدليل والبرهان إصلاح ذات البين بالحسنى بين من تحصل بينهم مشاحنات أو مناقشات حادة .

. ضرورة إنشاء مركز تابع لكلية الدعوة وأقسامها يهتم: بفتيات الخطابة ولغة الجسد ونبرة الصوت وجودة الملابس.

- تفعيل الرفقية على المستوى المحلي وطحن ما فيها من بحوث وإسقاؤه للناس عصيرا يدور في الكؤوس فما منا من أحد إلا وله بحث حي أو أكثر فلماذا لا ينشر وهناك رسائل حية موسى بطبعها فلماذا لا تطبع يستفيد منها الناس.

- تفعيل البعثات الخارجية على المستوى العالمي للاستفادة من تلك

- البحوث ونشرها عالمياً.
- تفعيل قنوات على وسائل التواصل للمختصين المبدعين ومساحة من الحرية المسؤولة.
  - تأهيل خريج الكليات الدينية وتعليمه القضايا المعاصرة وإعداده للسوق من خلال دراسته لكل القضايا المطروحة على الساحة ولا يكتفي بتدريسه رأياً واحداً حتى لا يبدو كجاهل ويستطيع أن يرد .
  - معالجة الأكاديمية وتحديث الناس بلسان سهل يفهمونه.



## مراجع البحث

## • القرآن الكريم.

- (١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفي: ٤٥٦هـ)، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- (٢) التحرر من مخاوف التحدث إلى الجمهور، جانيت وروى هندرسون، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٤م .
- (٣) حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ .
- (٤) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفي: ٣٩٢هـ)، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة .
- (٥) الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، ط. المكتب الجامعي الحديث .
- (٦) الخطيب القوي، جيري وايزمان، ط. مكتبة جرير، ٢٠١١م .
- (٧) دعاة السوبر ماركت، وائل لطفي .
- (٨) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، ط/٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار القلم، الكويت .
- (٩) الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، ط١، ١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية، القاهرة .
- (١٠) الدعوة إلى الله، دراسة نصية تحليلية، د/ الشاذلي، ط. بدون .

- (١١) الدليل الكامل في لغة الجسد، جودي جيمس، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٣ م .
- (١٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفي: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
- (١٣) الروح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفي: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥ م .
- (١٤) سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، بيروت .
- (١٥) سنن الترمذي .
- (١٦) صحيح البخاري .
- (١٧) صحيح مسلم .
- (١٨) طوق الحمامة في الألفة والآلاف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفي: ٤٥٦هـ)، تحقيق: د/ إحسان عبد الباسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م .
- (١٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ .
- (٢٠) فن الإقناع، هاري ميلز، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٤ م .
- (٢١) الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم



- الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .
- (٢٢) قراءة الوجوه بسرعة ويسر، ريتشارد وبستر، ط. مكتبة جرير، أولى، ٢٠١٤م .
- (٢٣) قراءة الوجوه بسرعة ويسر، ريتشارد وبستر، ط. مكتبة جرير، أولى، ٢٠١٤م .
- (٢٤) كيف تقرأ شخصاً مثل الكتاب، جيرارد أي. نيرنبرج وآخرون، ط. مكتبة جرير، أولى، ٢٠١٤م .
- (٢٥) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط. دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ط. المكتبة العلمية، بيروت .
- (٢٦) لغة الجسد في مكان العمل، آلان وباربرا بيز، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٣م .
- (٢٧) لغة الجسد: آلان وباربارا بيبز، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٥م .
- (٢٨) ليس من الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، ط. بدون .
- (٢٩) ما يقوله جسدك، شارون سايلر، ط. مكتبة جرير، ٢٠١٣م .
- (٣٠) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
- (٣١) المجموع شرح المذهب "مع تكملة السبكي والمطيعي"، ط. دار الفكر.

(٣٢) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .

(٣٣) مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري.

(٣٤) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

(٣٥) المسالك في شرح مؤطاً مالك: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى، قدّم له: يوسف القرّضاوي، ط. دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م .

(٣٦) مستدرك الحاكم، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

(٣٧) مسند الإمام أحمد، ط. مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

(٣٨) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠ م .

(٣٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي

- الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفي: نحو ٧٧٠هـ) ط.  
المكتبة العلمية، بيروت .
- (٤٠) مصنف الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري  
اليمني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. المكتب  
الإسلامي، بيروت .
- (٤١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر  
(المتوفي: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط. عالم الكتب، الطبعة  
الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- (٤٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن  
الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب  
الري (المتوفي: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت،  
الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ .
- (٤٣) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون،  
ط. بدون .
- (٤٤) مقدمة في منهج البحث العلمي، د/ رحيم العزاوي، ط/١، الأردن:  
دار دجلة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- (٤٥) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوي، ١٩٦٣م، دار النهضة  
العربية، مصر

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٣٤٠	المقدمة
١٣٤٥	أسباب اختيار الموضوع
١٣٤٥	الدراسات السابقة
١٣٤٨	خطة البحث
١٣٥٥	المبحث الأول : الدعوة الأكاديمية وعوامل النهوض بها
١٣٥٨	المطلب الأول: عوامل نجاح الداعية
١٣٩٢	المطلب الثاني: عوامل إخفاق الداعية
١٤٠١	المطلب الثالث: آداب الداعية
١٤٠٥	المبحث الثاني : الدعوة الموازية: ظاهرة الدعاة الجدد
١٤٠٧	المطلب الأول: الدعاة الجدد
١٤١٢	المطلب الثاني: لكل فن رجاله
١٤١٨	المطلب الثالث: التخصص مطلوب
١٤٢١	المبحث الثالث : الدراسة الميدانية
١٤٣٤	الخاتمة
١٤٣٧	المصادر والمراجع
١٤٤٢	فهرس الموضوعات





**التلوث السمعي والبصري  
ومنهج الإسلام في علاجه  
” دراسة نظرية تحليلية ”**

**إعداد**

**د/ محمد عبدالمولى قاسم عبد الرحمن**  
أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية  
كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



**التلوث السمعي والبصري ومنهج الإسلام في علاجه " دراسة نظرية تحليلية "****محمد عبدالمولى قاسم عبد الرحمن.**

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني : [Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg](mailto:Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg)

**المخلص**

التلوث السمعي والبصري من الظواهر التي تنامت مظاهرها في المجتمعات المعاصرة وكانت لها أسبابها، كما كانت لها آثارها على الإنسان حساً ونفساً وجسداً، والمتتبع لنصوص الإسلام يتضح له أن الإسلام وضع منهجاً سديداً لعلاج مثل تلك الظواهر من خلال تعاليمه وآدابه السامية، ومن خلال صفحات هذا البحث قمت بوصف تلك الظاهرة مبيناً أسبابها وآثارها، ثم عرّجت على مبادئ الإسلام وأسسها، وما أشارت إليه تعاليمه من خطوات عملية لعلاج تلك المظاهر.

ويهدف البحث إلى: بيان خطورة مثل هذا النوع من التلوث، وأن دراسته لا تقل أهمية عن غيره من أنواع التلوث البيئي التي باتت تشغل المتخصصين، وإلى تقديم تصور صحيح حول إمكانية علاجه في ضوء تعاليم الإسلام، وتقديم مادة علمية للدعاة والمعنيين بالتوجيه والتثقيف في المجتمع.

ومن أهم توصيات البحث: ضرورة قيام الدعاة والمعنيين من الإعلاميين ورجال الثقافة والفكر بدورهم في توعية الناس بخطورة مثل هذا النوع من التلوث والعمل على تنقية المجتمع والبيئة منه، دعوة المؤسسات التربوية إلى تدريس مادة تهتم بالسلوكيات الحضارية والقيمية في المجتمع،

ضرورة اهتمام الآباء والمربين بتربية أبنائهم على حب أوطانهم والمحافظة على عناصرها وصورها نقية جميلة، مع الالتزام بأداب الإسلام الحضارية.

الكلمات المفتاحية: التلوث السمعي، التلوث البصري، التلوث، علاج التلوث، منهج الإسلام، الإسلام والتلوث، الإسلام والبيئة.





## **Audio and visual pollution and the approach of Islam "in its treatment "analytical theoretical study**

**Mohamed Abdel Mawla Qasim Abdel Rahman,  
Assistant Professor.**

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic  
Da'wah, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email : [Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg](mailto:Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg)

### **Abstract:**

Audio and visual pollution is one of the phenomena that have grown manifestations in contemporary societies and had their causes, as they had their effects on the human sense, soul and body, and the follower of the texts of Islam is clear to him that Islam has developed a sound approach to treat such phenomena through its teachings and etiquette, and through the pages of this research I described that phenomenon, indicating its causes and effects, and then I returned to the principles of Islam and its foundations, and the practical steps indicated by its teachings to treat those manifestations.

The research aims to: show the seriousness of this type of pollution, and that its study is no less important

than other types of environmental pollution that have become the concern of specialists, and to provide a correct perception about the possibility of treatment in the light of the teachings of Islam, and to provide scientific material for preachers and those concerned with guidance and education in society.

Among the most important recommendations of the research: the need for preachers and concerned media professionals and men of culture and thought to play their role in educating people about the danger of this type of pollution and work to purify society and the environment from it, calling on educational institutions to teach a subject concerned with civilized and value behaviors in society, the need for parents and educators to raise their children to love their homelands and preserve their elements and images pure and beautiful, while adhering to the civilized ethics of Islam.

**Keywords:** Noise pollution, visual pollution, pollution, pollution treatment, the method of Islam, Islam and pollution, Islam and the environment .



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خَلَقَ بِقَدْرٍ، وَأَحْسَنَ مَا خَلَقَ،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول  
الله صلى الله عليه وسلم، ويعد،،،

فالحواس هي النوافذ التي من خلالها يمكن للإنسان أن يدرك ما  
يحيط به، وأن يتعرف على ما حوله ومن حوله في عالمه الخارجي، وأن  
يميز بين ما في الكون من جمالٍ وقبحٍ، ونافعٍ وضارٍ، وهي دليل الإنسان  
ومرشده إلى ما فيه قوام حياته جسدياً وإشباع روحه ونفسه معنوياً، وفي  
مقدمة تلك الحواس السمع والبصر؛ إذ عن طريقهما يتمكن الإنسان من  
إدراك المسموعات والمرئيات في البيئة المحيطة بكل عناصرها وأنواعها،  
قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ  
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ولقد خلق الله - تعالى - الكون غاية في الإحكام والإبداع، وجعل  
ما فيه مسخراً لإشباع الحواس بما فيه غذاء للنفس والروح، فكما أوجد  
الخالق في كونه ما فيه غذاء ومنافع لجسد الإنسان من مشروب ومطعموم  
ومركوب، أوجد ما يشبع الحواس ويغذي النفس والروح من مسموع ومرئي  
وملموس ومشموم؛ فجعل الخالق - سبحانه - في الزروع والأشجار  
الثمارَ غذاءً للبدن، والبهجةَ غذاءً للنفس والروح، والأنعامَ للركوب والأكل  
وموطناً للزينة والجمال، وفي السماء خُلقت النجوم علامات للاهتداء  
وزينة للناظرين، ومن البحار يُستخرج اللحم الطري والحلي، والبيوت جعلت

(١) سورة النحل الآية: ٧٨.

للسكن البدني والسكنية النفسية، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية إشباع الجانب الروحي والنفسي في الإنسان.

كما عنيت رسالة الإسلام بالتشريعات التي تعين الإنسان على إشباع هذا الجانب عن طريق الحفاظ على البيئة التي يعيش فيها على طبيعتها التي خلقها الله عليها وما سُخرت من أجله، دون وجود ما يشوه صورتها الجمالية أو يشوش على طبيعتها السكنية من هدوء وسكينة.

غير أن هذا الأمر لم يدم على حاله، فلم تبق للبيئة طبيعتها، ولم يُحفظ لها جمالها وهدوؤها، فمع تنامي النشاطات البشرية، والتقدم الصناعي والتكنولوجي، وفي ظل الجهل بحقيقة الدين وشمول تعاليمه، وضعف الالتزام بآداب للإسلام وسلوكياته، والثقافة المغلوطة في التعامل مع عناصر البيئة وأدوات التقدم الحديثة، وتغلب المادة على حياة الناس وتعاملاتهم، وتغليب الأنا والمصلحة الشخصية على حقوق الناس والمصلحة العامة، كل هذا وغيره أسهم في تغيير البيئة وإفساد عناصرها المسموعة والمرئية، فشُوّهت صور الطبيعية الجمالية في الأنهار والحدائق والبراري بمخلفات البشر والنفايات، وتراكمت أكوام القمامة في الأفنية والحدائق والأسواق، وتزاحمت المعدات والإعلانات أمام البيوت وفي الشوارع، وتلاصقت البيوت وضائق الطرقات، وظهر من أبناء المجتمع المنفرون بملابسهم الشاذة وسلوكياتهم المستهجنة وعباراتهم الفاحشة، واختلط بصوت الطيور والبلابل أصوات الورش والمصانع والآلات، واقتحم على الناس سكونهم - في البيوت والمساجد وأماكن الراحة والدراسة وأوقاتها - أبواقُ السيارات وأصواتُ مكبرات الصوت ولعبُ المفرقات ورناتُ الجوالات، وضجت الأسواق والأماكن العامة بالصخب والضجيج،

وتزاحمت على الأذن الأصوات المرتفعة على اختلاف الأنواع والدرجات، واختلط فيها الحسن والقبيح من الكلمات، وكان لكل هذا الزخم من الملوثات المسموعة والمرئية آثاره الخطيرة على الإنسان في جوانب حياته المختلفة حتى طالت الأجنة في الأرحام، وأضحى الإنسان نفسه ضحية لما جنته يداه.

من هنا كانت أهمية البحث في هذا الموضوع والحاجة إلى دراسته في ضوء تخصص الثقافة الإسلامية. وذلك لما يلي:

- ١- الوقوف على حقيقة التلوث السمعي والبصري، وما تتعرض له حاستنا السمع والبصر في البيئة المعاصرة من أذى وبيان خطورتها على الإنسان جسداً ونفساً وسلوكاً.
- ٢- عدم تطرق المعنيين إلى دراسة مثل هذا النوع من التلوث حيث حصر كثير من الباحثين مفهوم التلوث البيئي في التلوث الغذائي أو الهوائي أو المائي وآثاره.
- ٣- ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من منظور إسلامي في تخصص الثقافة الإسلامية.
- ٤- بيان عظمة الإسلام وسبقه في معالجة القضايا المجتمعية المستجدة والمستحدثة.
- ٥- العمل على تقديم تصور للمنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري.

#### الدراسات السابقة:

إن جلَّ الدراسات التي تناولت قضايا التلوث البيئي تناولتها من منظور اجتماعي أو قانوني أو طبي، والدراسات التي تناولت قضايا البيئة

من منظور إسلامي تناولتها بصورة عامة دون التعرض لأنواع التلوث لا سيما السمعي والبصري محل الدراسة، وقد وقف الباحث على دراسة لها صلة بجزئية من هذا الموضوع، وهي بعنوان: حماية السكنية العامة، دراسة مقارنة<sup>(١)</sup>، تلك الدراسة تناولت قوانين حماية السكنية بمعنى الهدوء من منظور القانون الوضعي والفقهاء الإسلاميين، وجاءت في ثلاثة فصول: الأول بعنوان الضبط الإداري البيئي، الثاني بعنوان نطاق السكنية العامة، والثالث بعنوان حماية السكنية في النظم الوضعية والفقهاء الإسلاميين.

ومن الواضح أن دراستي تختلف عن تلك الدراسة في الموضوع والحدود وطريقة تناول، وتلك الدراسة اعتمدت عليها في جانب من دراستي.

#### منهج البحث:

لقد اعتمدت في تلك الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي، حيث قمت بداية بالوقوف على مظاهر وأشكال التلوث السمعي والبصري ووصفها من خلال الواقع، وكذلك الوقوف على أسبابها وآثارها، ثم تتبعت النصوص الشرعية وغيرها مما يتعلق بقضايا البحث في مصادرها الأصيلة وتحليلها لاستنباط الأفكار والمبادئ والأحكام التي تخدم كل قضية، مع التزام الحيادة التامة، والتحليل الموضوعي، والأمانة العلمية، واستهداف الحقيقة.

(١) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، ضيف الله بن رمضان بن صنيح العنزي، ١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

### وأما عن حدود الدراسة:

فإن الدراسة تتركز زماناً: في المجتمعات المعاصرة حيث تنامت مظاهر التلوث السمعي والبصري، وموضوعاً: تتركز في الملوثات التي تقع تحت إدراك حاستي السمع والبصر وتأثيراتها على الإنسان بدءاً ونفساً وسلوكاً، دون غيرها من أنواع التلوث الأخرى.

### خطة الدراسة:

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره. ومنهج البحث. وحدود الدراسة والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بأهم مصطلحات العنوان.

المبحث الأول: التلوث السمعي والبصري المظاهر والأسباب والآثار.

المبحث الثاني: أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري.

المبحث الثالث: خطوات علاج التلوث السمعي في الإسلام.

المبحث الرابع: خطوات علاج التلوث البصري في الإسلام.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.



## التمهيد:

### أولاً: مفهوم التلوث:

#### ١- التلوث لغة:

الجذر اللغوي للكلمة " لوث " وجذعها "تلوث"، وقد وردت مادة التلوث في معاجم اللغة بعدد من المعاني منها: الطيُّ. واللِّيُّ والشرُّ، والالتباس والتلطخ، يُقَالُ: لَأَثَهُ فِي التُّرَابِ وَلَوَّثَهُ وَيَكُونُ التَّلْوُثُ فِي الْأَمْرِ إِذَا اخْتَلَطَ<sup>(١)</sup>، ومنها الالتياث: بمعنى الاختلاط والالتفاف. يقال: التناثتِ الخُطوبُ. والتاثَ برأس القلم شَعْرَةً. وَلَوَّثَ ثِيَابَهُ بِالطِّينِ، أَي لَطَخَهَا. وَلَوَّثَ الْمَاءَ، أَي كَدَّرَهُ<sup>(٢)</sup>، وَالتَّلَوُّثُ: التَّلَطُّحُ. يُقَالُ: لَأَثَهُ فِي التُّرَابِ، وَلَوَّثَهُ<sup>(٣)</sup>، ومنه تَلَوَّثَ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَنَحْوُهُ: إِذَا خَالَطَتْهُ مَوَادٌّ غَرِيبَةٌ ضَارَّةٌ، تَلَوَّثَتِ الطَّبِيعَةُ: إِذَا وُضِعَتْ فِيهَا أَوْسَاخٌ وَقَادُورَاتٌ وَنَحْوَهَا، ومنه تلوث الأفكار: فساد القيم والمبادئ الأخلاقية<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر - بيروت، ط٣/١٤١٤ هـ ج٢ ص ١٨٥ - ١٨٧، العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج٨ ص ٢٣٩.
- (٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤/١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج١ ص ٢٩١.
- (٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ج٤ ص ٢٧٥.
- (٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج٣ ص ٢٠٤٤.



مما سبق يتضح أن: لفظ التلوث في اللغة العربية يطلق على عدد من المعاني التي تدور حول اختلاط شيء بآخر من غير جنسه، وتكون في الأمور الحسية والمعنوية.

## ٢. التلوث في الاصطلاح:

تعددت التعريفات الاصطلاحية لكلمة التلوث بمفهومه العام، ومن تلك التعريفات:

**التلوث:** "التأثير السلبي على البيئة بما يغير من طبيعتها، أو خصائصها العامة، أو يؤدي إلى اختلال التوازن الطبيعي بين عناصرها، أو فقد الخصائص الجمالية أو البصرية لها، وله صور عدة منها التلوث الهوائي والتلوث المائي، وتلوث التربة، والتلوث الغذائي والتلوث الضوئي أو البصري، ويأتي في المقدمة التلوث السمعي أو الضوضائي" (١).

وعرّف القانون المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م التلوث البيئي بأنه: أي تغيير في خواص البيئة مما قد يؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الإضرار بالكائنات الحية أو المنشآت أو يؤثر على ممارسة الإنسان لحياته الطبيعية (٢).

وقد استخدم د. عبد الرحمن محمد عيسوي مصطلح التلوث في الجوانب المعنوية كالأخلاق والأفكار والقيم استناداً إلى مفهوم المصطلح

(١) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة، دكتور عبدالقادر الحسيني

إبراهيم، مجلة الدراسات القانونية، العدد الثاني والخمسون يونيو ٢٠٢١م، ص ٢٨٠.

(٢) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

في اللغة الإنجليزية، حيث يشير المعنى إلى الفذارة المعنوية أو النجاسة التي هي ضد الطهارة<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يمكن القول بأن التلوث بصورة عامة: هو إفساد في البيئة نتيجة اختلاطها بما ليس منها، ينتج عنه تغيير أو تشويه في خصائصها الطبيعية والاجتماعية، ويؤثر سلباً على حياة الإنسان والأحياء في الجوانب المختلفة.

**ثانياً: مفهوم التلوث السمعي والبصري: مصطلحات التلوث السمعي والتلوث البصري، وغيرهما من مثل التلوث الفكري والثقافي... من المصطلحات التي تم التعارف عليها واستخدامها حديثاً، وكلها - من خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي العام - تعني اختلاط الأمور حسناتها وسيئها من المسموعات أو المرئيات أو غيرهما، وفيما يلي بيان لمعنى المصطلحين.**

١. مفهوم التلوث السمعي: عُرّف التلوث السمعي بأنه: "جميع مصادر الأصوات المرتفعة المزعجة والمقلقة للراحة، وغير المرغوب فيها، والتي تصل إلى سمع الإنسان وقد تسبب الكثير من الأضرار للجهاز السمعي والعصبي للإنسان. وقيل هو مجموعة من الأصوات التي تتداخل مع بعضها البعض، ومن ثم تؤدي إلى شيء من القلق وعدم الارتياح"<sup>(٢)</sup>.

(١) "تشير لفظة التلوث POLLUTION إلى معنى النجاسة. ويطلق مصطلح " SELF POLLUTION" عادة الاستمراء وهي عادة مذمومة يلوث فيها الإنسان نفسه ويخرجها عن طهارتها، ينظر: علم النفس البيئي، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٧م ص ١٧٥، بتصريف.  
(٢) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة مرجع سابق ص ١٩.

**وأقصد بالتلوث السمعي :** ما يصل إلى سمع الإنسان من أصوات وكلمات خارجة عن حدود المقبول، طاقة أو شرعاً، سواء كان الخروج كماً، بالارتفاع فوق الطبيعي، أو نوعاً بمحتوى الصوت ومضمونه من كلمات وأفلاظ، مما يؤثر سلباً على الإنسان في جوانبه المختلفة.

٢. مفهوم التلوث البصري: عرّف بأنه " تغير غير مرغوب فيه في عناصر البيئة المرئية يؤدي إلى الإخلال بتوازنها، وقيل: الإحساس بالنفور فور رؤية مناظر أو مظاهر غير جمالية أو منفرة في عناصر البيئة الطبيعية أو المعمارية تتعارض مع كل من البيئة الطبيعية والمناخية أو القيم الدينية والخلقية أو الحضارية أو القيم الجمالية أو المعمارية"<sup>(١)</sup>.

**وأقصد بالتلوث البصري:** كل ما تقع عليه حاسة البصر من صور في البيئة الطبيعية أو السكنية أو الأشخاص مما يعرض البصر للأذى ويؤثر على الإنسان نفساً وبدناً وعقلاً.

**ثالثاً: مفهوم البيئة:** على الرغم من أن مصطلح البيئة لا يتضمنه عنوان البحث إلا أنه من المصطلحات التي سترد كثيراً في البحث؛ لذا كان من الضروري التعريف به.

**وأصل البيئة في اللغة: الفعل بؤأ:** يقال بؤأ المكان حلّه وأقام به: بؤأ القوم منزلاً إذا هياهم لهم أو أنزلهم فيه، ويقال: هو كل منزل ينزله القوم، والاسم بيئة<sup>(٢)</sup>.

(١) التلوث البصري والنواحي الجمالية. جمعية المهندسين المصرية. وقائع المؤتمر السابع لكلية التربية- دور التربية الفنية في خدمة المجتمع العربي.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون ت ط، ج ١ ص ١٥٥، مختار الصحاح، زين

**والبيئة في الاصطلاح:** هي الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من عناصر حية وغير حية يتأثر بها ويؤثر فيها<sup>(١)</sup>، وهي: " كل ما تخبرنا به الحواس سواء كان هذا من خلق الله سبحانه دون تدخل الإنسان فيها (الظواهر الطبيعية ) أو كانت من خلق الله وأحدث الإنسان في خصائصها وغير في معالمها (الظواهر البشرية )"<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو المعنى الذي يعنيه الباحث عند استخدام مصطلح البيئة؛ حيث كل ما يحيط بالإنسان ويقع تحت حواسه من عناصر طبيعية أو سكنية أو بشرية.

**مما سبق يمكن القول بأن المقصود من عنوان البحث:** دراسة الصور السلبية المسموعة والمرئية في البيئة المعاصرة من حيث مظاهرها وأسبابها وآثارها وكيفية التعامل معها في ضوء تعاليم الإسلام وقاية وعلاجاً.

---

الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص ٤١.

(١) الإنسان وقضايا البيئة - د. ضاري العجمي ، د. عبدالمعصم مصطفى ط ١ / ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص ٦.

(٢) البيئة والإنسان رؤية إسلامية - د. زين الدين عبدالمقصود ط دار البحوث العلمية - ط أولى - الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ١٣ بتصرف.



**المبحث الأول**  
**التلوث السمعي والبصري**  
**المظاهر والأسباب والآثار**



## المبحث الأول

## التلوث السمعي والبصري المظاهر والأسباب والآثار.

السمع والبصر حاستان من أهم ما خلق الله في الإنسان من حواس، ومن أهم أدواته في التواصل مع عالمه الخارجي وبيئته المحيطة، ورد ذكرهما والجمع بينهما في القرآن الكريم في كثير من المواضع، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، كما شرع الإسلام ما يحفظهما مادياً ومعنوياً من أحكام وتشريعات وآداب؛ وذلك لمكانتهما وأهميتهما للإنسان.

فالسمع يعد من أهم الحواس الإنسانية وأولها خلقاً وعملاً<sup>(٢)</sup>، ولعل تلك هي الحكمة في تقديمه على البصر في القرآن الكريم - باستثناء الحديث عنهما في الآخرة- بل إن حاسة السمع تتميز عن باقي الحواس بأنها تعمل في جميع الأوقات والحالات والاتجاهات، حتى قيل: إن السمع حارس الإنسان الأمين، وهو فوق ذلك أهم منافذ العالم الخارجي إلى نفس الإنسان، وأهم وسائل التواصل بينه وبين بيئته المحيطة.

ولأن السمع يعمل دائماً دون وجود صمام أو وكاء - كباقي الحواس - فإن تأثره بما في البيئة الخارجية من مؤثرات إيجابية أو سلبية يكون

(١) سورة النحل الآية: ٧٨.

(٢) ثبت علمياً أن السمع يخلق في الجنين قبل البصر وغيره من الحواس، كما يباشر عمله ولا يزال الطفل في رحم الأم، ينظر: موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، أطوار الخلق وحواس الإنسان د/أحمد شوقي إبراهيم، دار الفكر العربي، ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ج٢ ص١١٧.

أشد، إذ إن الأصوات الخارجية تنبعث إلى سمع الإنسان بتلقائية دون ضابط، سواء أكانت تلك الأصوات حسنة أم قبيحة، منخفضة أم مرتفعة حتى ولو كانت فوق طاقة الأذن وقدرتها.

والبصر الحاسة الثانية التي تربط الإنسان بالبيئة الخارجية والعالم المحيط به، فهي إحدى أدوات التلقي التي تمد الإنسان بكل ما يريد معرفته عن طبيعة ما حوله من صور وأشكال؛ حسنة كانت أم قبيحة؛ حيث تلتقط العين كل ما يقع أمامها من مرئيات، فترسله إلى المخ، والذي يقوم بدوره بترجمة تلك المرئيات وتحويلها إلى العقل أو القلب؛ لتصنيفها والتعامل معها بما يناسبها من ردود أفعال وسلوك، فإذا كانت تلك المرئيات حسنة تركت في النفس أثراً إيجابية، وإن كانت قبيحة تركت أثراً سلبية.

ومع أن للعين وكاء ويمكن إغلاقها عند الحاجة، إلا أن اختلاط الصور السيئة بالحسنة، ووجود المناظر القبيحة وسط مناظر الطبيعة الجميلة، ومزاحمة السلوكيات السلبية للسلوك الطيب، كل هذا وغيره جعل العين تقع رغماً عنها على ما يعرضها للأذى، ويؤثر على نفس الإنسان وحياته.

من هنا كان تأثر تلك الحاستين بما تقعان عليه من مسموعات أو مرئيات، وكان - في ذات الوقت - تأثيرهما على الإنسان نفساً وجسداً وسلوكاً، وفي هذا المبحث عرض لأهم الصور والمظاهر السلبية التي تدركها الأسماع والأبصار في البيئة المعاصرة وأهم أسبابها، ثم بيان لما لها من آثار سلبية على الإنسان في جوانب حياته المختلفة، وذلك كما يلي:



**أولاً: مظاهر التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة:**

إن وجود الملوثات السمعية قديم قدم النشاط الإنساني، فقد أشارت بعض الكتابات الأثرية الموجودة على الألواح الطينية في مدن " بابل " (١) و"سومر" (٢) ؛ أن الناس كانوا ينفرون من البلدة التي تعج بالضوضاء الصادرة من استخدام الآلات والأدوات اليدوية (٣)، وفي زماننا المعاصر تنامت تلك الملوثات وانتشرت مظاهرها في كل مكان، وفيما يلي توضيح ذلك:

أ. مظاهر تتعلق بالأصوات (٤) ودرجتها: هناك مظاهر عدة تتعلق بدرجة الصوت من أهمها:

١- الأصوات العالية المنبعثة من وسائل النقل الحديثة على اختلافها وتنوعها؛ لا سيما البرية منها كالسيارات والقطارات بأصوات محركاتها، أو أبواقها التي تستخدم في كثير من الأحيان بصورة عشوائية تُفزع النائم، وتقلق اليقظان، أو الجوية والبحرية، وتلك تأثيراتها محدودة وقاصرة على الأماكن المتاخمة للمطارات والموانئ،

(١) بابل بكسر الباء: اسم مدينة قديمة قيل العراق، وقيل الكوفة. ينسب إليها السحر والخمر، وقد ذكر اسمها في القرآن الكريم، ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت

ط٢، ١٩٩٥ م، ج١ ص٣٠٩.

(٢) سومر أو سامراء: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت». وقيل نسبة إلى سام بن نوح، معجم البلدان، ج٣ ص١٧٣ مرجع سابق.

(٣) ينظر: التلوث الضوضائي ( الضجيج )، مهندس عبدالحفيظ أحمد العمري، مدونة عيون المعرفة ص٣.

(٤) جمع صوت. ويطلق على صوت الإنسان وَغَيْرِهِ، لسان العرب ج٢ ص٥٧.

ففي دراسة إحصائية تبين أنه من (٦٠ - ٧٠ %) من الضوضاء في المجتمعات الحديثة تنبعث من مرور السيارات والقطارات، بالإضافة إلى أن القطارات تصدر أصواتاً عالية التردد تصل إلى ذروتها على أذن السامع على بعد (١٠٠) قدم حيث تعادل (١٣٨ - ١٤٠ ديسيبل)<sup>(١)</sup>(٢).

٢- الضوضاء<sup>(٣)</sup> المنبعثة من المصانع والورش وما تصدره من ضجيج الآلات والمعدات، أو أصوات العاملين المرتفعة، لا سيما تلك المنشآت التي توجد في الأوساط السكنية.

٣- الأصوات المرتفعة والصخب المنبعث من الأفراد في الطرقات، أو الأسواق والمحال التجارية، أو الأماكن العامة، أو الباعة الجائلين بالإعلان عن بضائعهم.

٤- أصوات المفرقات الناتجة عن الأسلحة والألعاب النارية المستخدمة في الأفراح، وأماكن الترفيه وأيام الأعياد والمناسبات، بل تستخدم الأسلحة النارية لإطلاق الأعيرة الصوتية والحية - أحيانا- في الأفراح والاحتفالات كمظهر من مظاهر التعبير عن الفرح والسرور، واستخدام الألعاب النارية سواء من قبل الكبار أو الصغار صار من أشد مصادر الأذى السمعي في مجتمعاتنا حيث تقدمت صناعة تلك الوسائل وصارت تصدر أصواتاً عالية بصورة بالغة.

(١) الديسيل أو الديسبل: وحدة قياس التفاوت في منسوب طاقتين. أو التفاوت بين شدة صوتين، كعجم اللغة العربية المعاصر، ج١ ص٧٩٤.

(٢) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، ص ٢٨٨ مرجع سابق.

(٣) الضوضاء: أصواتُ النَّاسِ وجَلْبَتُهُمْ، وَقِيلَ الْأَصْوَاتُ الْمُخْتَلِطَةُ وَالْجَلْبَةُ، لسان العرب ج١٤ ص٤٨٨.

٥- استخدام مكبرات الصوت بصورة عشوائية غير معتدلة سواء في المناسبات، أو المحال التجارية، أو المؤسسات المختلفة، أو حتى في بعض المساجد للإعلان عن شيء ما، أو بث إذاعة القرآن الكريم لفترة طويلة قبل الصلاة خاصة قبل صلاة الفجر<sup>(١)</sup>.

٦- الأصوات الصادرة عن الأجهزة الإلكترونية الصوتية المسموعة والمرئية؛ كالتلفزيون والراديو والكمبيوتر، وأجهزة العرض المختلفة المسموعة والمرئية؛ في البيوت، والمحال، ووسائل المواصلات، وفي أحيان كثيرة لا تقتصر أصوات تلك الأجهزة على المستخدمين لها في البيت أو المحال أو وسائل المواصلات، بل تتعداهم إلى غيرهم في المساكن المجاورة أو الطرقات، خاصة عندما يتم استخدام أجهزة رفع الصوت الحديثة وهي ما تعرف بالسماعات أو المكبرات<sup>(٢)</sup>.

٧- رنات التليفون المحمول؛ فعلى الرغم من أن الأصوات المنبعثة من الهاتف المحمول ليست على درجة عالية من الارتفاع بالقدر الذي يتأذى منه الآخرون، غير أن التأذي بالأصوات المنبعثة من الجوال لا يتمثل في ارتفاع الصوت عند الاتصال، ولكن في اقتحامها أماكن العبادة والراحة والنوم والعمل، وقطعها لراحة الإنسان وهدونه وخشوعه وتركيزه.

(١) في بعض المساجد في القرى خاصة تصل المدة إلى ساعة قبل صلاة الفجر ولا تقل عن نصف ساعة .

(٢) فقد يقوم بعض الناس في البيوت أو المحال بتشغيل الأجهزة المسموعة أو المرئية لفترات طويلة بدرجة تسمع الجيران وتعرضهم للأذى، وليس من الضروري أن تصدر الأصوات المرتفعة عن أجهزة صوتية ، بل قد تكون أجهزة كهربائية أخرى ذات أصوات مرتفعة.

ب. مظاهر تتعلق بالألفاظ والمعاني وحسن الصوت:

إن الأذى السمعي لا يقتصر على الأصوات المرتفعة، ولكن هناك نوعاً آخر من الملوثات السمعية لا تقل ضرراً وخطراً عن النوع السابق، وهو التلوث المتعلق بالألفاظ والكلمات والمعاني، وهذا النوع تنامي مظاهره وصوره في المجتمعات المعاصرة، كما أن له تأثيراته السلبية على كل أطياف المجتمع وفئاته، ومن أبرز نماذج وصور هذا النوع:

١- انتشار لغةً للتواصل بين أبناء المجتمعات المعاصرة من جيل الشباب ومن دونهم حيث يستخدمون فيها ألفاظاً غريبة على اللغة العربية بل والعامية<sup>(١)</sup>.

٢- انتشار الكلمات والعبارات الخارجة عن حدود الدين أو الأدب والذوق، وتكرارها بدون وعي وإدراك، وقد تكون خادشة للحياء، أو مصطلحات وعبارات غريبة ونابية، ومثل تلك العبارات تلاحق الإنسان في الكثير من الأماكن والأوساط.

٣- كثرة الأغاني الهابطة ذات الألفاظ البذيئة<sup>(٢)</sup> التي صارت تطرق الأسماع في وسائل المواصلات والطرق والأماكن العامة، بل والبيوت من خلال وسائل الإعلام.

٤- سوء وشذوذ بعض الأصوات أثناء الإلقاء الخطابي، أو القراءة أو الأذان أو غير ذلك من فنون الإلقاء، مما يؤدي الأسماع ويُنفّر النفوس، بل ويصد عن الاستماع لما يقوله القائل.

(١) فنجد الشباب يستخدمون مصطلحات مثل: يا اسطى - نفض - كبر - وكلمات لا نتمكن من كتابتها.

(٢) حيث صارت نسبة من الأغاني في المجتمعات المعاصرة تحتوي على ألفاظ خادشة تحض على الرذيلة، وتدعوا إلى الفاحشة، وكان من آخر تلك الأغنيات والتي انتشرت في كثير من الأماكن العامة وغيرها أغنية تروي قصة زنا المحارم وتبرره.

**ثانياً: مظاهر التلوث البصري في البيئة المعاصرة:**

أ. مظاهر تتعلق بالعناصر الطبيعية في البيئة:

١- تراكم المخلفات والملوثات على حواف الأنهار والترع ومجاري المياه، وعلى الجسور وفي البراري وأماكن التنزه والجلوس؛ سواء أكانت مخلفات بشرية، أو حيوانية، أو زراعية، وسواء أكانت مواد صلبة، أو حيوانات نافقة، أو فضلات منزلية، أو مخلفات بترولية في بعض البحار.

٢- تواجد السحب الدخانية في أجواء الأماكن والمدن الصناعية، والتي تنتج عن المصانع أو حرق المخلفات الزراعية، مما يؤدي إلى حجب أو تعذر رؤية الصورة الطبيعية للسماء بصفاء لونها وسحبها نهائياً، أو سطوع نجومها ليلاً.

٣- تزامم الأشعة الضوئية المنبعثة ليلاً من مصابيح السيارات، أو أعمدة الإنارة، أو أماكن اللهو والترفيه مما يؤثر على الرؤية، ويحرم الإنسان الاستمتاع بجمال السماء وما فيها من نجوم.

٤- قلة المساحات الخضراء واستبدالها بأبنية عشوائية أو مساحات ميتة فراغية لا نفع منها سوى تجميع المخلفات، أو مرابض للحيوانات، وهو ما يعرف في المجتمعات المعاصرة بـ (التصحر أو التبوير)، وذلك بغرض تحويل الأرض الزراعية إلى بنائية لرفع سعرها.

ب. مظاهر تتعلق بالبيئة السكنية المحيطة: وأقصد بالبيئة السكنية ما يحيط بالإنسان من أماكن خاصة وعامة وطرق وحدائق وغيرها، ومن تلك الصور السلبية:

١- رؤية المخلفات أمام أفنية البيوت وفي الحدائق والأماكن العامة بصورة تؤذي الناظرين وتضيق معها الصدور والنفوس.

٢- شغل الطرقات أمام البيوت والمحال في القرى بآلات زراعية أو أسمدة وأتربة وحيوانات، وفي المدن بالبضائع والسيارات التي توضع بصورة عشوائية، ومخلفات الأبنية وغيرها، وليس من الضروري أن يكون وضع تلك الأشياء بسبب عدم وجود أماكن أخرى، ولكن استخدام تلك الأماكن وشغلها قد يكون بدافع وضع اليد والتملك، وأحياناً بدافع الكيد ومحاكاة الجيران.

٣- العشوائية في البناء والتنظيم العمراني، كضيق الطرقات وعدم مناسبتها لارتفاع المباني، وتلاحم المباني بصورة ملحوظة، وتشويه واجهات الأبنية والحوائط وعدم تناسقها.

٤- كثرة اللوحات الإعلانية في الطرقات وعلى البيوت بصورة تشغل المارة وتصرفهم عن الاستمتاع بالنظر إلى جمال الأماكن والمباني، أو حتى عن السير بصورة صحيحة، بالإضافة إلى احتواء بعض تلك الإعلانات على صور أو عبارات يتأذى منها ذوو الفطر السليمة.

٥- كثرة الحيوانات الضالة المؤذية كالكلاب، وتجمعها بصورة كثيفة حول القمامة وفي الطرقات.

#### ج. مظاهر تتعلق بسلوكيات الأفراد ومظهرهم الشخصي:

إن التلوث البصري لا يتوقف عند حدود الطبيعة أو البيئة المحيطة، بل يمتد الأمر إلى وجود خلل أو خروج عن حد الاعتدال في المظهر الشخصي لبعض الأشخاص أو سلوكياتهم، بما يتنافر مع الأدب والذوق ويخدش الحياء، ويعتدي على الفطرة، ومن ذلك:

١- مظهر بعض الشباب والفتيات الذين يرتدون ملابس ممزقة أو خارجة عن حدود الدين أو العرف أو الذوق والأدب، أو تتداخل مع ملابس الجنس الآخر باسم الموضة والرقى.

٢- ظهور البعض في الطرقات أو الأماكن العامة والمساجد وأماكن التجمعات والأسواق ووسائل المواصلات - وخارج نطاق عملهم أو مهنتهم<sup>(١)</sup> - بمظهر سيء وهيئة رثة، فهناك من يرتدي ملابس غير نظيفة ذات روائح كريهة، ويظهر في صورة سيئة منفرة.

٣- قيام البعض بسلوكيات شاذة في الطرقات أو الحدائق؛ كالتبول أو التغوط، أو البصاق.

٤- تخنث بعض الشباب في ملابسهم أو هيئتهم ومشيتهم، وترجل بعض النساء في ملابسهن وهيئتهن، أو تكشفهن بصورة سافرة تؤدي الآخريين بالنظر إليهن، وقيام البعض بإيماءات أو حركات وسلوكيات تتنافى مع الدين وتخدش الحياء.

#### ثالثاً: أسباب التلوث السمعي والبصري.

لقد تعددت الأسباب التي تعمل على إحداث التلوث السمعي والبصري في المجتمعات المعاصرة، ويمكن تقسيم تلك الأسباب من حيث مصدرها إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

أ. أسباب دينية: وأقصد بها تلك الأسباب المتعلقة بفهم الإنسان الخاطئ لحقيقة دينه وتعاليم الإسلام - لا سيما - التي تتعلق بتعاملاته وعلاقاته مع البيئة الطبيعية بعناصرها والمجتمعية بما فيها ومنَ فيها، ومدى التزامه بآداب الإسلام وسلوكياته المتعلقة بهذا الأمر، ومنها:

(١) هناك فئات من الناس تفرض عليهم أعمالهم الظهور وقت العمل بملابس معينة قد تظهرهم بصورة غير نظيفة وليس هؤلاء من أعينهم هنا.

١- غياب الفهم الصحيح لحقيقة الدين خاصة فيما يتعلق بالبيئة والاجتمع: فهناك فئة من الناس انحصر فهمهم للإسلام في كونه مجموعة من العقائد والأركان التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه دون النظر إلى أي مخلوق في الكون، وحصروا العبادة في جملة من المناسك والطقوس التي تؤدى لله في أماكن خاصة وأوقات معينة، فالدين في نظر هؤلاء جاء لينظم العلاقة بين الإنسان وربه، أما علاقته بمن وما حوله من مخلوقات - لا سيما البيئة والجمادات - فلا تدخل في اهتمامات الدين وتعاليمه، فلم يخطر ببال هؤلاء أن يكون في الإسلام نص مقدس يجعل الإحسان إلى البيئة من الإيمان، أو أن تعاليم الإسلام طالت كل الخلق من إنس وجن وحيوان وطيور وجماد، ولقد كان لهذا الفهم القاصر أثره السلبي في تعامل أمثال هؤلاء مع البيئة المحيطة بنوعيتها الطبيعي والسكني، وإحداث التلوث السمعي والبصري، إما بالإفساد فيها وتشويه صورتها وتلويثها، أو بسوء استخدامها كما هو الحال في الإسراف في استخدام الأجهزة الصوتية.

٢- ضعف الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وسلوكياته: وهناك فئة من الناس مع علمهم بحقيقة الدين وشمول تعاليمه إلا أنهم حصروا اهتماماتهم في جانب معين من الدين فأحيوا العبادة وأماتوا السلوك، وطلبوا بالحقوق وأهملوا الواجبات، فنجد هؤلاء يؤدون المناسك العبادية خير أداء لكن في سلوكياتهم البيئية والاجتماعية لا يلتزمون بتعاليم الإسلام وآدابه.

وإن غياب تلك الآداب والتعاليم من سلوكيات الناس سواء عن جهل أو إهمال وتجاهل يجعل التعامل داخل البيئة الاجتماعية تعاملًا جافاً لا



تُرَاعَى فِيهِ الْمَشَاعِرُ وَلَا الْعَوَاطِفَ وَالْأَحَاسِيْسَ، وَلَا يُوجَدُ اعْتِبَارٌ لِلْحَسِّ الْجَمَالِيِّ، وَيَكُونُ لِهَذَا أَثَرُهُ السَّيِّئُ عَلَى الْبِيئَةِ فَيَقُومُ الْإِنْسَانُ بِجَهْلِهِ وَسُلُوكِهِ السَّيِّئِ بِتَشْوِيْهِهَا، وَكَذَلِكَ عَلَى الْمَحِيطِيْنَ مِنْ أُنْبَاءِ الْمَجْتَمَعِ، حَيْثُ يَسْوَدُ الْأَذَى الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي تَعَامَلَاتِ النَّاسِ نَتِيجَةَ الْأَنْانِيَةِ وَعَدَمِ مِرَاعَاةِ مَشَاعِرِ الْآخَرِيْنَ، وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ.

٣- غِيَابُ تَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ مِنْ وَاقِعِ التَّعَامَلَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ: وَذَلِكَ مِنْ أَهْمِ الْأَسْبَابِ لِحُدُوثِ الْخَلَلِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْبِيئَةِ وَالْمَجْتَمَعِ، فَمَنْ لَا يَتَّقِي رَبَّهُ لَنْ يَتَوَرَّعَ عَنْ فِعْلِ شَيْءٍ فِيهِ إِفْسَادٌ فِي الْحَيَاةِ أَوْ أَذَى لِلْآخَرِيْنَ، طَالَمَا أَنَّهُ لَنْ يَتَعَرَّضَ لِمَسْأَلَةٍ بَشَرِيَّةٍ، فَمِرَاقِبَةُ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ صِمَامُ الْأَمَانِ لِحِفْظِ الْبِيئَةِ وَالْمَجْتَمَعِ مِنْ إِحْدَاثِ تَلَوُّثٍ أَوْ خَلَلٍ.

ب. أسباب ثقافية وتنظيمية:

إِنَّ لثقافة الإنسان دور مهم في التأسيس لسلوكياته وتعاملاته - على المستوى الفردي والجماعي - داخل البيئة المحيطة والمجتمع الذي يَحْيُونَ فِيهِ، فمعرفة الإنسان بحقيقة البيئة ودورها في حياته وثقافة الاستخدام، والشراكة المجتمعية بينه وبين من يعيشون معه، وحقوق الشركاء في المجتمع والحياة، والأدوار البيئية والمجتمعية، وما تشرعه الحكومات من قوانين حيال ذلك، كل هذا يؤثر على السلوك البيئي والمجتمعي للأفراد والجماعات بالإيجاب أو السلب، ومن نتائج غياب الثقافة الواعية في هذا الميدان:

١- الاستخدام الخاطئ لوسائل التطور الصناعي والتكنولوجي : فمع ما لحركة التطور السريع في مجتمعاتنا المعاصرة - في شتى المجالات - من فوائد عظيمة، إلا أن هذا التطور كان له ضريبته التي يدفعها

الإنسان بسبب سوء تنظيمه واستخدامه لتلك الحركة وتطوراتها، ومنها حرمان حاستي السمع والبصر من الاستمتاع بطبيعة الحياة والتعرض لكثير من الأذى، حيث أضحى مظاهر التقدم التكنولوجي والصناعي - حال سوء الاستخدام - عوامل إفساد للبيئة البصرية والسمعية المحيطة بالإنسان؛ فأصوات المصانع الحديثة وأدخنتها، والآلات المتقدمة المتاخمة للمناطق السكنية، والأجهزة المسموعة والمرئية على اختلافها وتنوعها ودرجات أصواتها والتي تتطور بشكل مستمر، بل وظهور الأجهزة المضخمة لها والتي أضحى من وسائل الرفاهية في البيوت والمحال والسيارات، وهي في ذاتها منغصات مزعجة لأهل البيت والجيران والمارة في الطرقات، وسوء استخدام أجهزة المحمول الحديثة بما تبثه من أصوات وكلمات، وارتفاع المباني وتلاصقها، وتزامم الإعلانات الضوئية وغيرها في الشوارع، كل تلك المظاهر هي في ذاتها نوع من المشوشات التي حرمت حاستي السمع والبصر من الاستمتاع بالحياة.

٢- الجهل أو عدم الالتزام بقوانين البيئة التي سنتها الحكومة: لقد اهتمت المجتمعات المعاصرة اهتماماً بالغاً بأمر المحافظة على البيئة، وحمايتها من التلوث بكافة أنواعه، ومنها التلوث البصري والسمعي، والمتأمل في القانون المصري<sup>(١)</sup> يتضح له أن قانون البيئة بمواده

(١) ينظر: القوانين الصادرة عن رئاسة الجمهورية والمجالس التشريعية الخاصة بحماية البيئة ومنها: قانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢م - قانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م - قانون رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥م الخاص بإصدار اللائحة التنفيذية لقانون البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م - قانون رقم ١٠٩٥ لسنة ٢٠١١م - قانون رقم ١٠٥ لسنة ٢٠١٥م - قانون رقم ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٧م.

وبنوده المختلفة تعمل على حماية البيئة وحفظ عناصرها من الإفساد، وكذلك حفظ الإنسان من كل ما يؤذيه داخل تلك البيئة، وذلك كله حال التزام الإنسان بتلك المواد والبنود وعدم مخالفتها أو الخروج عليها، ومع كثرة تلك القوانين - والتي جرّمت الأذى الضوضائي<sup>(١)</sup> - وإمامها بمشكلات البيئة وعلاجها إلا أن الجهل بتلك القوانين وأهميتها، وعدم الالتزام بها أو الخروج عليها هو ما جعل الحال يصل إلى ما عليه الآن في المجتمعات وهذا يرجع؛ إما إلى غياب الوعي الثقافي بأهمية الأمر وخطورته، وإما إلى التحايل على القوانين واختلاس السلوكيات الخاطئة، وذلك حال غياب الرقابة البشرية، أو الأمن من العقوبات الرادعة، وهذا ما يتضح فيما يلي.

٣- غياب أو ضعف الرقابة البشرية والتهاون في معاقبة المخالفين: فهناك فئة من الناس ضعف لديهم الوازع الإيماني - خاصة في أمور المعاملات والعلاقات - فلا يلتزمون بالآداب والسلوكيات فيما يتعلق بالبيئة المحيطة واستخدام الأضواء وأجهزة الأصوات وغيرها إلا عند وجود قوانين منظمة ورقابة مشرفة، وتلك شريحة ليست قليلة في المجتمع، وأمثال هؤلاء لا يلتزمون بالقوانين من تلقاء أنفسهم، ولكن لا بد ممن يراقب تنفيذ تلك القوانين واللوائح، إذ إن غياب الرقابة البشرية وعدم تطبيق العقوبات القانونية الرادعة على جميع المخالفين، أو تطبيقها بصورة جزئية، وإمكانية الإفلات منها، كل ذلك يشجع على عدم الالتزام بالقوانين، ويعطي فرصة لمن لا يخشون الله لفعل ما تمليه عليهم أهوائهم من نشر للتلوث السمعي والبصري.

(١) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، د.عبدالقادر الحسيني، ص ٢٩٣، مرجع سابق.

٤- العشوائية العمرانية: وذلك بجعل المطارات أو المصانع مجاورة للأماكن السكنية، أو فتح الورش وغيرها من محال المهن المختلفة في الأوساط السكنية، أو ارتفاع المباني بصورة مبالغ فيها بما لا تتناسب مع الشوارع والطرق، وعدم تخصيص مساحات خضراء داخل المناطق السكنية، تلك الأمور تعد من عوامل إحداث التلوث البصري في المجتمعات المعاصرة.

ج. أسباب نفسية وشخصية: وأقصد بها تلك الأسباب التي ترجع إلى الطبيعة النفسية للإنسان، ومدى حبه لمن حوله أو إيثاره لنفسه ومصالحته، وكذلك طبيعة حياته وما يغلب عيها من سمات عامة، ومن تلك الأسباب:

١- تغليب المصلحة الشخصية وتقديمها على المصلحة العامة سواء من الأفراد أو المؤسسات، وهو ما يعرف بـ(الأنانية)، وذلك من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى إحداث خرق في البيئة المجتمعية والإفساد فيها، ومن ثم حدوث التلوث السمعي والبصري؛ فمن يضع النفايات - على اختلاف أنواعها - في الأنهار ومجاري المياه، لا يهتم الشكل الجمالي للماء ولا الانتفاع الروحي لباقي أبناء المجتمع، بقدر ما يهتم مصالحته الشخصية في التخلص من نفاياته ولو في غير موضعها، وكذلك الحال فيمن يضع القمامة في الطرقات أو أمام البيوت، بل نجد البعض - خلسة - يضع القمامة أمام بيوت الآخرين أو أمام الأبنية والمصالح العامة، وكذلك الحال فيمن يقوم بإنشاء المصانع أو الورش داخل الكتل السكنية، ناهيك عن يقوم بفتح الأجهزة

المسموعة والمرئية ومكبرات الصوت بصورة يتأذى منها الآخرون رغم أنها جُعِلت للاستخدام الشخصي<sup>(١)</sup>.

٢- طغيان الجوانب المادية: حيث خلت علاقة الإنسان بما ومن حوله من الجوانب الروحية وصارت العلاقة قائمة على أساس المنفعة وإشباع الشهوات والرغبات، وهذا بدوره يجعل الإنسان يفعل ما تمليه عليه نفسه وما يشبع رغباته المادية من سلوكيات وتصرفات بغض النظر عما إذا كانت تلك التصرفات والسلوكيات ستعود على الآخرين بالأذى أم لا، فالإنسان الذي يشوه صورة النيل الجميلة بطرح المخلفات فيه لا يفكر سوى في تحقيق مصلحته بالتخلص من مخلفاته دون اعتبار للبعد الروحي وما يراعيه من حس جمالي أو نظافة للمياه، وكذلك الحال مع من يستخدمون مكبرات الصوت أو الأضواء بصورة مبالغ فيها في الأفراح أو المناسبات الأخرى، وكذلك - من باب أولى - المفرقات وغيرها من وسائل اللهو والتعبير عن الفرح.

#### رابعاً: آثار التلوث السمعي على الإنسان:

مع أن السمع وظيفته الرئيسية استقبال الأصوات على اختلافها وتنوعها، إلا أن من تلك الأصوات ما يكون لها آثارها السلبية على الإنسان جسداً ونفساً وعقلاً وسلوكاً؛ وذلك حال خروج تلك الأصوات

(١) من الصور الغربية والقضايا العجيبة في هذا المجال تقدم أصحاب منطقة سكنية بشكوى من صاحب محل تجاري يقوم بوضع مكبرات صوت - سماعات - أمام محله تقوم ببث الأغاني الماجنة وغيرها لتسمع سكان جميع المنطقة دون أن يسمعها من بداخل المحل حيث يضع أبواباً زجاجية للمحل تعزل الصوت، إزعاج سماعات المحلات في عين شمس الشرقية، شكوى البيئة موقع شكوى المواطنين  
https://shakawi.masreat.com/149662. تاريخ الزيارة ١٦/٦/٢٠٢٢م-

بحدتها ودرجاتها وألفاظها عن حد الاعتدال وطاقته المستقبِل، هذا وتتنوع الآثار السلبية للتلوث السمعي بصوره المختلفة على الإنسان كما يلي:

أ. آثار تتعلق بالجسد:

إن للتلوث السمعي آثاره السلبية على صحة الإنسان الجسدية، ومن بين تلك الآثار ما يلي:

١- إضعاف السمع أو فقده جزئياً أو كلياً: فمع أن السمع وظيفته الرئيسية استقبال الأصوات، إلا أن أكثر ما يؤثر على تلك الحاسة من مؤثرات سلبية، وما يصيبها من أضرار هي الأصوات غير المعتدلة والضوضاء، فالإنسان عندما يتعرض لصوت عال شدته (٩٠ ديسيبل) لفترات قليلة فإن الجهاز السمعي يصاب بالإجهاد ومن ثم ضعف السمع لفترة محدودة ثم العودة إلى السمع بصورة حسنة مرة أخرى، فإذا طالت تلك الفترة، أو كانت بصورة مستمرة يومياً فإن الإنسان يصاب بضعف في السمع تدريجي ويكون مزمناً، وعندما يتعرض الإنسان لصوت عال ومفاجئ تتراوح شدته بين ١٢٠ - ١٥٠ ديسيبل فإنه قد يفقد سمعه تماماً ويصاب بالصمم نتيجة تمزق طبلة الأذن وانكسار عظيمات القوقعة<sup>(١)</sup>.

٢- ضعف الصحة العامة وأمراض القلب والجهاز الهضمي: فمن الآثار السلبية للتعرض للضوضاء لفترات طويلة الإصابة بأمراض القلب، والسكتة القلبية ونزيف المخ والجلطات<sup>(٢)</sup> وكذلك أمراض الجهاز الهضمي، واختلال الغدة الدرقية وإفراز الهرمونات، كما يؤدي التعرض

(١) ينظر: حماية السكنية العامة، دراسة مقارنة، ص ١٤٠ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) التلوث الضوضائي، مهندس عبدالحفيظ أحمد العمري، ص ١٨.

للضوضاء إلى ضيق التنفس وارتفاع نسبة السكر في الدم<sup>(١)</sup>، كما أثبتت بعض الدراسات أن التعرض للضوضاء لفترات طويلة يؤثر على الرؤية البصرية للإنسان وانخفاض حدة الإبصار<sup>(٢)</sup>.

٣- الوفاة: ثبت علمياً أن التعرض للأصوات التي تزيد قوتها على ١٥٠ ديسيبل قد يحدث الوفاة في الحال، حيث يؤدي إلى انفجار الرئتين وتوقف القلب مع التشنج والإغماء والوفاة السريعة<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة وذلك في أكثر من موضع قال تعالى: ﴿وَإِذَا اللَّيْلُ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- التأثير على الأجنة في بطون الأمهات: لقد ثبت علمياً أن الأجنة في بطون الأمهات تتأثر - إيجاباً وسلباً - بالأصوات المحيطة، والأصوات الصاخبة تؤثر سلباً على الجنين إما بطريق مباشر عن طريق حاسة السمع لدى الجنين، وإما بطريق غير مباشر عن طريق تأثر الأم جسدياً ونفسياً وعصبياً، وهذا بدوره يؤثر على نمو الجنين، وجهازه العصبي، وقد يؤدي إلى الإجهاض بعد فترة، كما أن تعرض الأم الحامل للضوضاء العالي المفاجئ قد يحدث الإجهاض مباشرة<sup>(٥)</sup>.

(١) الإنسان ومشكلة التلوث بالضوضاء أحمد فؤاد باشا، مقال مجلة الأزهر، الجزء الثامن،

السنة الخامسة والستون، شعبان ١٤١٣ - ١٩٩٣ ص ١٢٠٧ وما بعدها.

(٢) تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د. فهمي حسن أمين العلي، دراسة بمجلة العلوم والتنمية،

مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، العدد الرابع شوال ١٤٠٨ هـ يونية ١٩٨٨ م،

ص ٢٠ وما بعدها.

(٣) التلوث الضوضائي، صلاح أحمد مسعود، بحث منشور بمجلة كليات التربية، جامعة

الزاوية لبيبا، العدد السابع، مارس ٢٠١٧ م ص ١٧.

(٤) سورة هود آية: ٦٧.

(٥) ينظر: التلوث الضوضائي، ص ٣ مرجع سابق، المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة

السمعي ص ٢٩١.

## ب. آثار التلوث السمعي على الصحة النفسية والسلوك الاجتماعي:

لقد ثبت علمياً أن الضوضاء وارتفاع شدة الصوت عن المعدل الطبيعي يؤثر سلباً على المستوى النفسي والسلوك الاجتماعي للإنسان حيث يؤدي إلى:

- ١- القلق والتوتر وسوء الحالة المزاجية: ثبت علمياً أن كثرة الضوضاء تصيب الإنسان بالقلق والتوتر والاكتئاب، والارتباك، والشعور بالضيق، والرهاب، بالإضافة إلى سوء الحالة المزاجية التي يعاني منها الكثيرون في المدن المكتظة بالسكان والأكثر ضوضاء.
- ٢- الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية: فالضوضاء وكثرة الأصوات المزعجة تعد أحد مسببات الأمراض النفسية والعصبية في العصر الحديث، أو عامل من عوامل سوء حال المرضى النفسيين والعصابيين وتفاقم حالاتهم<sup>(١)</sup>.
- ٣- إصابة الأطفال بالقلق والاضطرابات: فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعرضاً للضوضاء هم الأكثر عرضة للإصابة بأعراض القلق والاكتئاب والقلق النفسية من غيرهم<sup>(٢)</sup>.
- ٤- ضعف النشاط الإنتاجي والاقتصادي: فقد ثبت أن الأشخاص الذين يعيشون في بيئات تكثُر فيها الضوضاء والصخب والضجيج يكونون أقل كفاءة من غيرهم - ممن يعيشون في بيئات تتسم بالهدوء والسكينة - في

(١) تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د عبدالحكيم بدران، ص١٢، حماية السكنية العامة، ص١٤٧، التلوث الضوضائي، ص١٨ مرجع سابق.

(٢) <https://mawdoo3.com>، تاريخ الزيارة ١٥/٦/٢٠٢٢م.



إنجاز الأعمال وأداء المهام والقيام بالنشاطات الاقتصادية، كما تكثر لديهم الأخطاء في العمل والحوادث<sup>(١)</sup>.

٥- السلوك الانفعالي والعدواني: فقد ثبت أن الأشخاص الذين يتعرضون للضوضاء بنسب عالية يكونون أكثر عدوانية من غيرهم وأقل تسامحاً<sup>(٢)</sup>؛ وذلك إما بسبب التوترات العصبية والحالة النفسية والمزاجية التي تسببها الضوضاء مباشرة، أو بسبب تنغيص النوم المستمر والذي يؤثر على سلوك الإنسان ويجعله أكثر انفعالية وعدوانية.

ج. تأثير التلوث السمعي على الجوانب الفكرية والثقافية:

١- في مجال الفكر والإبداع: مما لا شك فيه أنه من الآثار السلبية للضوضاء التأثير السلبي على الإنتاج الفكري والإبداعي للإنسان، ويحدث هذا من طريقتين:

أولهما: أن الضوضاء والأصوات العالية تقطع على الإنسان تركيزه، وتشوش على تفكيره بطريق مباشر، ومن ثم إضعاف ملكة الإبداع لدى المفكرين، وضعف الإنتاج العلمي، فقد ثبت علمياً أن كل ثانية يتعرض فيها الإنسان للضوضاء تقلل من التركيز لديه لمدة ثلاثين ثانية<sup>(٣)</sup>.

ثانيهما: أن الضوضاء تقطع على أصحاب الفكر والباحثين راحتهم، وتنغص عليهم ساعات نومهم وأوقات استرخائهم، ومن ثم لا يتمكنون من مزاوله عملهم الفكري والبحثي بنشاط وكفاءة.

(١) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، د عبدالقادر الحسيني إبراهيم، ص ٢٩٠. تلوث البيئة مصادره وأنواعه ص ٢٠-٢١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩١.

(٣) التلوث الضوضائي، عبدالحفيظ أحمد العمري، ص ١٨ مرجع سابق، التلوث الضوضائي، أصلاح أمحمد مسعود، ص ١٦ وما بعدها، مرجع سابق.

ومما يُذكر في هذا الميدان أن المدن الإغريقية والرومانية - قديماً - كانت تفرض أوامر صارمة بمنع إصدار الأصوات المزعجة ليلاً، وكانت السلطات تقوم بفرش الشوارع في أحياء الفلاسفة والعلماء بمواد تمتص أصوات حوافر الخيل خشية تأثير الضوضاء على تفكيرهم وإبداعهم، كما ثبت علمياً أن الأطفال الذين يعيشون في بيئات تعليمية مزدهمة تكثر فيها الضوضاء وتتزاحم الأصوات يكونون أقل تحصيلاً من غيرهم ممن يعيشون في البيئات التعليمية الهادئة<sup>(١)</sup>.

٢- في مجال الثقافة: لم يقتصر التلوث السمعي على الضوضاء أو الأصوات المرتفعة والصاخبة، ولكن من ضمن مظاهر وأنواع التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة ظهور كلمات وعبارات شاذة وخارجة غريبة على اللغة العربية بل والعامية، وتتنافى مع الآداب الإسلامية والطبائع السليمة. والاستماع إلى مثل تلك الكلمات والعبارات له مردوده السلبي على أبناء المجتمع، وبخاصة من هم في سن صغيرة حيث تغزو مثل تلك العبارات والألفاظ فكرهم وثقافتهم، وتصبح جزءاً من لغتهم التي يتحدثون بها، كما هو الحال في واقعنا المعاش.

#### خامساً: آثار التلوث البصري على الإنسان:

إن للملوثات البصرية على اختلاف صورها ومظاهرها آثارها السلبية على الإنسان جسدياً ونفسياً وسلوكياً، مادياً ومعنوياً " فالبيئة البصرية تتكون في الدماغ من خلال دخول الصور والمشاهد المؤثرة إيجابياً أو

(١) ينظر: تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د عبدالحكيم بدران ص١٢، التلوث الضوضائي، ص ٣ مرجع سابق.

سلبياً عبر العينين إلى الدماغ، حيث تتكدس وتُخترن، وعندما تصل إلى الدماغ، تؤدي تلك الصور إلى تغييرات كيميائية وبالتالي إلى آثار جسيمة نفسية وجسدية وسلوكية، خاصة أنها تصبح مُخزَّنة في ذاكرته<sup>(١)</sup>، ومن أبرز تلك الآثار ما يلي:

أ. على مستوى الجسد: هناك عدد من الآثار السلبية للملوثات البصرية على أعضاء الإنسان الجسدية، وفي مقدمتها البصر منها:

١- **قلة كفاءة البصر أو فقده:** حيث يتأثر الجهاز البصري بالتعرض للضوء الشديد أو المشوشات البصرية؛ فتقل كفاءته ويضعف، بل قد يفقد الإنسان بصره إذا كانت الأشعة الضوئية فوق طاقة العين، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأثر قبل العلم الحديث، كما في قوله تعالى:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- **إرهاق البصر:** فعندما تتداخل المرئيات وتكثر، ويختلط الحسن بالقبيح، هذا يعمل على تحفيز مقلة العين بصورة مفرطة وتوترها، والعمل بصورة سريعة لاستيعاب المعلومات البصرية المعروضة عليها، وهذا كله يصيب الجهاز البصري بالإجهاد.

٣- **التعرض للحوادث المرورية:** نتيجة التشتت البصري والانشغال بالإعلانات المرئية والتي صارت تتواجد بكثافة عالية في الشوارع والطرق السريعة<sup>(٣)</sup>.

(١) التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، دراسة على شبكة الإنترنت تاريخ الزيارة ٢٤/٧/٢٠٢٢م/ <https://mqaall.com/research-visual-pollution-causes-solutions/>.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٠.

(٣) تأثير التلوث البصري على الإنسان، <https://www.almrsl.com/post/885999>، التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، مرجع سابق.

## ب. آثار التلوث البصري على الصحة النفسية والسلوك:

١- **الحرمان من الاستمتاع النفسي بجمال الطبيعة:** فإن من أكثر الآثار السلبية للتلوث البصري؛ حجب جمالية الطبيعة وحرمان الإنسان من الاستمتاع الروحي بها؛ فوجود ملوثات -مثلاً- في مجاري المياه الصافية بالإضافة إلى كونها تلوث الماء مادياً بالسموم والكائنات الضارة، فإنها تُعكر صفو الصورة الجميلة النقية للماء تلك التي تريح النفس، وكذلك الحال في باقي عناصر الطبيعة.

٢- **المعاناة من المشكلات النفسية مثل التوتر والضييق والعصبية الزائدة،** فقد أثبتت الدراسات أن الأماكن التي تنتشر فيها الفوضى وعدم التناسق والتنظيم يصاب معظم من يسكنونها بالتوتر والقلق، وعدم الراحة النفسية، إذ إن الحالة النفسية للإنسان ترتبط سلباً وإيجاباً بترتيب البيئة والمكان المحيط به<sup>(١)</sup>.

٣- **السلوك السلبي:** فعملية الإدراك البصري هي إحدى المراحل التي تحكم سلوك الإنسان وتوجهه، ومشاهدة الصور السلبية واختلاط القبيح بالحسن يؤثر سلباً على السلوك.

ج. **آثار التلوث البصري على العمليات العقلية:** من أهم الآثار السلبية للتلوث تلك التي تتعلق بالعمليات العقلية من تفكير وإدراك وابتكار وابداع، ومن أهمها:

١- **إضعاف القدرة على التفكير والتركيز:** فقد ثبت أن وجود الملوثات البصرية في البيئة المحيطة من أضواء زائدة، أو العشوائية وعدم التنظيم

(١) كيف يؤثر التلوث البصري على الصحة النفسية للفرد، نورس كرز، مجلة آفاق البيئة والتنمية، مجلة إلكترونية تصدر عن مركز العمل التنموي فلسطين، عدد ١١٤ بتاريخ ٢٠١٩/٥/١م، التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، مرجع سابق.

والترتيب في البيئة المحيطة، والتداخل بين الأشياء وبعضها، أو تزامم الإعلانات والأشياء المعروضة في كل مكان، كل هذا يعمل - بدوره - على تشتيت العقل والتشويش على عملية التفكير والإدراك<sup>(١)</sup>.

٢- إرهاب العقل نتيجة ما يعانيه من كمّ المُدخّلات البصرية الهائلة وغير المنتظمة التي تصله عن طريق العين.

٣- ضعف القدرة على الإبداع والابتكار، إذ إن حرمان البصر من الاستمتاع بالطبيعة وصفائها يؤثر سلباً على الفكر، ويضعف ملكات العقل وقدرته على التفكير والابتكار<sup>(٢)</sup>.

#### مما سبق يتضح أن:

١- التلوث السمعي والبصري من الظواهر البيئية والمجتمعية الواقعة في المجتمعات قديماً وحديثاً، والتي تظهر نتيجة النشاط البشري والمعاملات الحياتية.

٢- للتلوث السمعي والبصري مظاهرها وصورهما المتنامية في المجتمعات المعاصرة نتيجة عدد من الأسباب والعوامل؛ منها ما يتعلق بالفهم الخاطئ لأمر الدين وضعف الالتزام بتعاليمه، ومنها ما يتعلق بالثقافة الخاطئة في التعامل مع التقدم الصناعي والتكنولوجي، والتعامل مع عناصر البيئة المختلفة، ومنها ما يرجع إلى نفس الإنسان وطبيعته.

٣- مظاهر التلوث السمعي منها ما يتعلق بالمخترعات الحديثة والآلات وما يصدر عنها من أصوات حادة ومرتفعة تقتحم سمع الإنسان

(١) المرجع السابق نفس الموضوع.

(٢) مقال حول: التلوث البصري: أسبابه وعلاجه - <https://mqaall.com/research-visual-pollution-causes-solutions>. تاريخ الزيارة ٢٠/١/٢٠٢٢ م.

وتقطع عليه سكونه، ومنها ما يتعلق بالإنسان نفسه وما يصدر عنه من أصوات عالية أو كلمات وألفاظ يختلط فيها القبيح بالحسن، والصوت الرديء بالندبي.

٤- للتلوث البصري مظاهره وصوره المتعلقة بالبيئة الطبيعية أو السكنية وما يحدثه الإنسان فيها من تشويه، أو المتعلقة بالأشخاص وما يظهرونه من صور سلبية في هئتهم وسلوكهم.

٥- للملوثات السمعية والبصرية آثارها الخطيرة على الإنسان جسداً وعقلاً ونفساً وسلوكاً.



**المبحث الثاني**  
**أسس ومنطلقات الإسلام**  
**في علاج التلوث السمعي والبصري:**





## المبحث الثاني

### أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري:

مما ينبغي الوقوف عليه - من خلال نصوص الإسلام وتعاليمه - لبناء المنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري وضع الأسس القوية، والمنطلقات الصحيحة والتي من خلالها يمكن التعامل مع ظاهرتي التلوث السمعي والبصري وقاية وعلاجاً بصورة صحيحة، ومن أهم تلك الأسس والمنطلقات ما يلي:

#### أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح لعلاقة الإنسان بالبيئة:

إن أول الأسس التي يُبنى عليها المنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري؛ فهم الإنسان للعلاقة التي تربطه بالبيئة المحيطة فهماً صحيحاً، إذ إن سلوك الإنسان وتعامله - سلباً وإيجاباً - مع البيئة بعناصرها المختلفة ينطلق من فهم الإنسان لعلاقته بتلك البيئة وتصوره لها، والتلوث السمعي والبصري ما هو إلا نتيجة سلوكيات سلبية قد تكون ناتجة - كما سبق بيانه - عن غياب الوعي الصحيح بالبيئة المحيطة والسلوك المناسب نحو عناصرها.

من هنا كان لا بد من بيان التصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالبيئة ومدى ارتباطه بما فيها من عناصر، و ما يترتب على تلك العلاقة من آثار إيجابية في حفظ البيئة والإنسان من التلوث بأنواعه المختلفة ومنها السمعي والبصري، ومن روابط تلك العلاقة ما يلي:

١- الاشتراك في الخلق والعبودية: فالإنسان والبيئة - بكل عناصرها - من مخلوقات الله التي تدين له بالربوبية والعبودية، وهذا المعنى يؤكد

رسولنا (ﷺ) في مخاطبته للأرض بقوله: ( يا أرضِ رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ ... )<sup>(١)</sup>، ولللهلال أيضا بقوله: ( ... رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ )<sup>(٢)</sup>، ففي هذا الخطاب النبوي دلالة واضحة على الشراكة بين الإنسان وما يحيط به من مخلوقات في الربوبية لله سبحانه.

ولا يقتصر التوافق بين الإنسان والبيئة على مجرد الاشتراك في الخلق، وإنما هناك الجانب الوظيفي حيث الاشتراك في الإدانة بالعبودية لله - سبحانه - فكل ما في البيئة من مكونات طبيعية وغير طبيعية يتوافق مع الإنسان في الخضوع لله بالعبودية والتقديس والتسبيح، قال تعالى:

﴿ إِن كُُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

إن فهم هذا المعنى والإيمان به يحدث ارتباطاً عاطفياً بين الإنسان وغيره من المخلوقات والكائنات، ومن ثم فإنه يوجه سلوك الإنسان إلى التعامل مع البيئة بعناصرها المختلفة بصورة إيجابية محافظاً على طبيعتها

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن عمر، ج٢ ص ١٧٩، حديث رقم ١٣٩٨ ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، - صحیح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، ك: المناسك، ب: صفة الدعاء بالليل، ج٤ ص ١٥٢ حديث رقم ٢٥٧٢ المكتب الإسلامي بيروت - سنن أبي داود ت: شعيب الأرنؤوط، أول كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، ج٤ ص ٢٤٥ حديث رقم ٢٦٠٣ دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م..

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند أبي محمد طلحة بن عبيدالله ج٥ ص ٤٠٢ حديث رقم ٦١٦٢ - سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب ما يقول إذا رأى الهلال، ج٤ ص ٢٤٥ حديث رقم ٢٦٠٣.

(٣) سورة مريم آية: ٩٣.

(٤) سورة الإسراء من آية: ٤٤.

وجمالها؛ إذ كيف يعتدي الإنسان بالإفساد والتلوث على شريك له في الخلق والتكوين، وكيف يضع الأقدار والملوثات على شيء يسبح بحمد الله مثله سواءً بسواء، بل قد يغفل الإنسان وهو لا يغفل، وهذا في ذاته من عوامل الحفظ والوقاية من الملوثات البصرية.

٢ - البيئة ميدان للنظر والتفكير والاهتداء فكيف يشوه الإنسان دليله على معرفة الله؟  
فالبينة الطبيعية بعناصرها المختلفة، فيما هي عليه من إبداع في الخلق وإتقان، وتسيير غاية في الإحكام والنظام، جعلها الخالق - سبحانه - ميداناً فسيحاً يجول فيه الإنسان بنظره، ويتأمل بفكره فيما خلق الله في كونه من آيات ودلالات شاهدة على وجود الخالق - سبحانه - وقدرته.

وقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى أعمال بصره فيما يحيط به في البيئة من مخلوقات وكائنات للتعرف على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته، ومن ثم الإيمان به، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ومن ثم فإن تعامل الإنسان مع تلك البيئة وما بها من مخلوقات من هذا المنطلق يدفعه إلى المحافظة على عناصرها، دون إفساد أو تعكير وتلويث حتى تكون صورة واضحة صافية يمكن مطالعتها من قبل كل إنسان بنظره وعقله وفكره؛ للاهتداء والاسترشاد إلى معرفة الله من خلال آياته ومن ثم زيادة الإيمان به.

(١) سورة يونس آية: ١٠١.

كما أن تشويه تلك الطبيعة بعناصرها فيه اعتداء على خلق الله، وما أبدعته يده، وفيه تعطيل لإحدى الوظائف التي خلقت من أجلها، إذ إن تلك الملوثات تصرف الإنسان عن التفكير والتأمل ومن ثم استشعار العظمة الإلهية والقدرة الربانية، إذ كيف يستشعر إنسان تلك المعاني عندما ينظر إلى الماء العذب الصافي وقد اختلطت به المخلفات الزراعية والحيوانات النافقة، وإلى السماء الصافية وما بها من نجوم وقد حجبها أدخنة المصانع وحرق المحاصيل والأضواء المبالغ فيها، وكيف يستشعر الإنسان عظمة الله في سكون الليل وقد ضجَّ الليل بالصخب والأصوات والضجيج والضوضاء، فكيف يشوه الإنسان بيديه دلائل إلهائه لخالقه.

٣- التسخير والانتفاع: إن من أهم ما يدفع الإنسان إلى حفظ البيئة من التلوث السمعي والبصري؛ تذكره أن تلك المخلوقات الطبيعية التي تحيط به إنما هي مسخرة للانتفاع بها، ومن ثم فإن تلويث تلك الطبيعة وما بها - بأي نوع من أنواع الملوثات - يؤثر على انتفاعه بها هو أو غيره هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن من تمام شكر الله على نعمة التسخير والانتفاع بتلك المسخرات البيئية المحافظة عليها وعلى ما بها من منافع مادية ومعنوية، وقد قرن القرآن الكريم بين شكر الله على نعمه وعدم الإفساد في الأرض، قال تعالى:

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِبُونَ الْجِبَالَ طَبَاقًا فَذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأعراف آية: ٧٤.

**ثانياً: اهتمام الإسلام بالتربية الجمالية للمسلم:**

الجمال قيمة من القيم الإسلامية، وخصيصة من خصائص خلق الله - عزَّ وجلَّ - ولقد حرص الإسلام على غرس تلك القيمة في نفوس أتباعه من خلال نصوصه وتعاليمه التي توجه إلى استشعار تلك القيمة في مخلوقات الله وإشباع الحس الجمالي للبصر والسمع من جانب، والحث على التجميل مظهراً وسلوكاً وصوتاً من جانب آخر، وهذا - بلا شك - يُعد من أهم عوامل حفظ البيئة الطبيعية والمجتمعية من التلوث البصري والسمعي بكل صورته.

فأما عن استشعار القيمة الجمالية وإشباع الحس الجمالي في البيئة الطبيعية فهذا واضح في آيات القرآن الكريم، والتي كثيرا ما تلفت الأنظار إلى مظهر من مظاهر الجمال في عنصر من عناصر البيئة المحيطة، ومن ذلك قول الله - تعالى - عن الحكمة من خلق الإنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال في السماء: ﴿وَرَبَّيْنَاهَا لِلنَّظِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى في الأشجار والزرع: ﴿فَأَنْبَتْنَاهُمْ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾<sup>(٣)</sup> " أي صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظر، وكل ما يسر منظره فهو بهجة "<sup>(٤)</sup>.

وفي بيان القرآن الكريم أن الاستمتاع بالجمال غاية من خلق الأنعام، وتزيين السماء هدف من خلق النجوم فيها، وتحقيق البهجة للنفوس من فوائد خلق الحدائق والجنان - في هذا كله - دلالة على اعتبار قيمة الجمال الشكلي وفائدته في إسعاد النفوس وراحتها.

(١) سورة النحل من آية ٦ .

(٢) سورة الحجر من آية ١٦ .

(٣) سورة النمل من آية ٦٠ .

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر - بيروت، ج ٦ ص ٣٦١ .

ومن ثم فإن مراعاة الإنسان لهذا البعد واستشعار تلك المعاني يوجه سلوك الإنسان إلى المحافظة على البيئة والإبقاء على طبيعتها نقية صافية دون تلوّث أو تعكير ليستمتع بتلك الصور الجمالية التي خلقها الله فيها هو ومن معه من أبناء بيئته المجتمعية؛ لعلمه أن أي تشويه أو تلوّث يقوم به الإنسان يُفوّت على نفسه وعلى غيره من بني جنسه الاستمتاع والانتفاع بما في البيئة من صور جمالية، ولا شك أن التلوث البصري من أشد ما يشوه جمالية البيئة.

وأما فيما يتعلق ببحث الإسلام على التجميل والأخذ بأسباب الجمال فإنه واضح جليّ في نصوص الإسلام وتشريعاته، حيث لم يقتصر اهتمام الإسلام بالجمال على لفت الأنظار إلى ما في البيئة الطبيعية من صور جمالية أبدعها الخالق في أجمل صورة وأبهاها، ولكن الإسلام حثّ على التجميل والتزين سواء في البيئة الخاصة من الطرقات والأفنية والأماكن العامة وغيرها، أو على مستوى المظهر والسلوك الشخصي، أو حتى على مستوى الصوت والكلام، والنصوص التي تحمل تلك المعاني كثيرة سيتم التعرض لها في حينها.

وهذا بدوره عامل مهم من عوامل الوقاية من وجود الملوثات البصرية والسمعية في البيئة المجتمعية لا سيما ما يتعلق منها بسلوكيات الأفراد البيئية والمجتمعية ومظهرهم الشخصي.

**ثالثاً: الربط بين العقيدة وبين ما يحقق السلام السمعي والبصري من سلوك:**

إن مما يسهم في تحقيق السلام السمعي والبصري من الملوثات والمؤذيات اهتمام الإسلام بكل ما يحقق هذا الأمر من خصال وسلوكيات، حيث ارتقت نصوص الإسلام ببعض السلوكيات البيئية والمجتمعية - التي

تقي وتعالج من وجود التلوث السمعي والبصري - إلى درجة عالية في الدين.

١ - فتارة تجعل نصوص السنة رفع الأذى عن الطريق من الإيمان - وهو سلوك علاجي للتلوث البصري: ففي حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (١)، وتلك خصلة لا ينتبه إليها كثير من الناس الذين يرون أنها عادة لا علاقة لها بالدين، ومع ذلك يجعلها الرسول (ﷺ) شعبة من شعب الإيمان؛ ذلك لأن هذا السلوك من أهم عوامل التغلب على التلوث البصري في البيئة الطبيعية والمجتمعية.

والمراد بالأذى في الحديث - كما ذكره الإمام النووي - المُسْتَقْدَرُ مِنْ غُبَارٍ وَتُرَابٍ وَقَدَى (٢) وَنَحْوِ ذَلِكَ، أو أقدار وجيفة وغيرها، وقيل المراد من الأذى ما من شأنه أن يؤدي، حصل به الإيذاء بالفعل أو لا (٣).

فإذا أخذ لفظ الأذى - في الحديث - على عمومه فإنه يحتمل كل ما يتعرض له الناس في البيئة المجتمعية المعاصرة من ملوثات بصرية - سبقت الإشارة إليها - وإذا كان الإمام النووي ذكر ما ذكر من تراب أو

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت، ك: الإيمان، ب: عدد شعب الإيمان، ج ١ ص ٦٣ حديث رقم ٣٥.

(٢) الْقَدَى جَمْعُ قَدَاةٍ، وَهُوَ: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَالْمَاءِ وَالشَّرَابِ مِنْ تُرَابٍ أَوْ تَيْنٍ أَوْ وَسَخٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، ينظر لسان العرب، محمد بن منظور، ج ١ ص ١٧٤.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم، ج ٢ ص ٦ ج ١٣ ص ٢٠٦، فتح المنعم، موسى شاهين لاشين،

دار الشروق، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ج ١ ص ١٣٤.

قذى فتلك نماذج كانت شائعة في زمانه، ويقاس عليها كل ما يوجد في زماننا من صور وايداعات في الطرقات تقع عليها العين.

وإذا كان الإسلام جعل إماطة الأذى - بصوره المختلفة من الملوثات والمؤذيات - عن الطريق من الإيمان، فمن باب أولى فإن عدم وضع تلك الأشياء في الطرقات والمحافظة عليها وصيانتها من الإيمان أيضاً، ومن ثم فإن هذا التوجيه النبوي يُعد خطوة علاجية لما يقوم به البعض من تلويث بصري وسمعي، وتوجيهه وقائي في ذات الوقت.

٢- وتارة أخرى تشير النصوص إلى أن وقاية الناس من الأذى باليد واللسان من أفضل خصال الإسلام - وهما مصدران من مصادر التلوث المرئي والمسموع -: ففي حديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاصي، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ، وفي رواية سيدنا فضالة بن عبيد قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (وَالْمُسْلِمُ؟ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. الحديث) (١)

ففي الحديث أن من تمام إسلام المرء سلامة الناس من أذى لسانه ويده، فهو سلام مع الناس جميعاً بسلوكياته وتصرفاته، بل إن هذا السلام يشمل كل الكائنات والمخلوقات إلا بحق الإسلام، قال الإمام الحسن البصري: " الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر والنمل" (٢).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أول مسند عبدالله بن عمرو، ج٦ ص٢٩٢ حديث رقم ٦٧٥٣.

من مسند عبدالله بن عمرو ج٦ ص٤٩٣، حديث رقم ٧٠٨٤.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد

السعودية، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ج١ ص٦٢.



والملاحظ أن الحديث ذكر اللسان واليد لأن الأذى يكون بهما غالباً، فاليد أداة من أدوات التلوث البصري فهي التي تفسد وتخرّب وتشوه وتطرح القاذورات والأذى في غير أماكنها، واللسان أداة من أدوات التلوث السمعي، برفع الصوت والكلام البذيء وغير ذلك.

وعليه فإذا كان الإسلام ذكر أن علاج الأذى والتلوث السمعي والبصري والوقاية منهما من مكملات الإيمان والإسلام، فيكون - على العكس من ذلك - تعريض الآخرين للأذى السمعي والبصري وإشاعة الملوثات في البيئة والمجتمع علامة على نقص الإيمان والإسلام.

#### رابعاً: التلوث السمعي والبصري ضرر نهى عنه الإسلام.

من المبادئ الإسلامية الأصيلة والقواعد الشرعية التي عمل الإسلام على إرسائها لتكون أساساً من أسس التعامل بين أبناء المجتمع المسلم؛ النهي عن إلحاق الضرر والأذى بالآخرين بأي صورة من الصور، أو أي نوع من أنواع الأذى المادي أو المعنوي على حد سواء، وهذا المبدأ يهدف إلى حفظ المجتمع المسلم بكل أفرادهِ وجماعته من كل أنواع الأذى وصنوفه ومن التعرض لأي نوع من الضرر.

وعمدة هذا المبدأ الإسلامي حديث سيدنا عبادة بن الصّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): (قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) <sup>(١)</sup>، وفي رواية: (مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ) <sup>(١)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - اليايى الحلبي، ك: الأحكام، ب: من بنى في بيته ما يضر جاره، ج٢ ص٧٨٤ حديث رقم ٢٣٤٠ - موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبجي، دار إحياء التراث العربي - مصر، ك: الأفضية، ب: القضاء في المرفق، ج٢ ص٧٤٥ حديث رقم ١٤٢٩.

وخلاصة ما جاء في أقوال العلماء: أن الإسلام نهى عن إلحاق الأذى بالغير سواء مطلقاً أو على وجه المقابلة، وسواء كان هذا الأذى لتحقيق منفعة شخصية كمن يجعل في ملكه ما يتأذى منه الآخرون، أم كان الأذى لمجرد الأذى، وسواء أكان الأذى مادياً متصلاً بالجسد أو المال، أو معنوياً متصلاً بالنفوس وما يتعلق بها من مشاعر وعاطفة، بل إن النهي عن الأذى قائم حتى لو كان على سبيل المزاح كمن يروع أخاه مازحاً، وفي الحديثين تشديد في النهي عن إلحاق الضرر والأذى بالغير ووعيد لمن يقوم بهذا الفعل بأن يكون الجزاء من جنس العمل، فمن شق على الناس شق الله عليه، ومن أضر بهم أضره الله<sup>(٢)</sup>.

وانطلاقاً من هذا المبدأ الإسلامي وتأسيساً على القاعدة الشرعية " لا ضرر ولا ضرار" وما يتفرع عنها من قواعد فقهية فإن الفقهاء - رحمهم الله - قالوا بحرمة ومنع من يحدث في بيته أو محله ما يضر بالجيران أو المارة وإن كان في ذلك مصلحة له؛ فيمنع الرجل - إن كانت داره مجاورة لدور - من أن يبني في داره تنوراً<sup>(٣)</sup> للخبز الدائم، أو الرحي<sup>(٤)</sup> للطحن

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وأخران، مصطفى البايي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في الخيانة والغش، ج ٤ ص ٣٣٢، رقم ١٩٤٠.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١، ١٣٥٦، ج ٦ ص ٤٣١ حديث رقم ٩٨٩٩، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، مطبعة السعادة - مصر، ط ١، ١٣٣٢ هـ، ج ٦ ص ٤٠ - الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٧ ص ١٩١.

(٣) التنور: نوعٌ من الكوانين، وفي الصحاح: التَّنُورُ: الكائُونُ الَّذِي يُخَبَّرُ فِيهِ، تاج العروس، ج ١٠ ص ٢٩٤.

(٤) الرحي: حجر عظيم يستخدم للطحن، وتكتب بالياء وبالألف فيقال رحي ورحا، ينظر: لسان العرب، ج ١٤ ص ٣١٢.

المستمر، أو مدقة للقصارين<sup>(١)</sup> أو الكمادين<sup>(٢)</sup>، أو مكاناً لتعليم الصبيان مع دوام صخبهم في أوقات الراحة، أو يجعل من داره مكاناً لتعليم الأنغام أو يتخذ فيها كرواناً للصياح أو حماماً، وليست العبرة من المنع هنا إحداث الأصوات المقلقة والتأثير على الأبنية فحسب ولكن أشاروا إلى ما يقع تحت البصر من أذخنة متصاعدة من الأفران، أو مخلفات الدواب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام ابن فرحون المالكي<sup>(٤)</sup>: "وَيُمْنَعُ الرَّجُلُ مِنْ إِحْدَاثِ إِصْطَبَلٍ<sup>(٥)</sup> لِلدَّوَابِّ عِنْدَ بَابِ جَارِهِ بِسَبَبِ بَوْلِهَا وَزَيْلِهَا وَحَرَكَتِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا وَمَنْعِهَا النَّاسَ مِنَ النَّوْمِ، وَكَذَلِكَ الطَّاحُونُ وَكَيْزُ الْحَدَادِ وَشَبَّهَهُ"<sup>(٦)</sup>.

(١) القصارين: من يقومون بتحويل الثياب وتبييضها حيث كانوا يقومون بدق الثياب بعود خشب العناب، ينظر: تاج العروس ج١٣ ص٤٣١.

(٢) الكمادين جمع كمد: اسم حرفة يطلق على من يقومون بصباغة الثياب، أصلها الفعل كمد أي تغير لونه، ينظر: لسان العرب ج٣ ص٣٨١. القصارين: من يقومون بغسل الثياب وتبييضها حيث كانوا يقومون بدق الثياب بعود خشب العناب، ينظر: تاج العروس ج١٣ ص٤٣١.

(٣) فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، دار الفكر، ج٧ ص٣٦٢ - تبين الحقائق شرح كثر الدقائق وحاشية الشلبي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، المطبعة الكبرى الأميرية القاهرة، ط١، ١٣١٣ هـ، ج٤ ص١٩٦ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر، ج٣ ص٣٧٠ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ج٣ ص٤٧٩ - المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، مكتبة القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ج٤ ص٣٨٨، ج٥ ص٤٤٠.

(٤) الإمام العلامة الكامل برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري المالكي المتوفي سنة ٧٩٩ هـ .

(٥) الإسطبل : حظيرة الخيل ، معرب . قال بن منظور : الأصبطل موقف الدابة وفي التهذيب . موقف الفرس ، شامية ، هو عربي وقيل معرب ، انظر في ذلك : ابن منظور : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٤ هـ ج١١ .

(٦) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج٢ ص٣٥٣.

ومما لا شك فيه أن الملوثات السمعية والبصرية - في البيئة المعاصرة - بأنواعها وصورها المختلفة هي نوع من الأذى الذي يلحق الضرر بالإنسان في نفسه وبدنه، بل إنها أشد ضرراً مما ذكره الفقهاء من صور للأذى في زمانهم.

فإن الورش الصناعية على اختلاف أنواعها أشد صوتاً وضرراً مما ذكره الفقهاء من الأصوات الصادرة عن الرحى والقصارين والكمادين، والأدخنة والأصوات المنبعثة من المصانع المتاخمة للمناطق السكنية في يومنا أشد أذى من تلك التي تصدر عن التنور أو غيره من محال أصحاب الحرف السابقة، وأبواق السيارات وأصوات الغناء المنبعثة من مكبرات الصوت في كل مكان - لا شك - أشد أذى من صوت الكروان والحمام وتعليم الأنعام.

وكذلك فإن أكوام القمامة والمخلفات الحيوانية والنباتية المتراكمة أمام البيوت في بعض المناطق وعلى حواف الأنهار والمياه، والأدخنة المنبعثة من المصانع في البيئة المعاصرة أشد أذى للبصر مما ذكره الفقهاء من اصطبلات أو أفران.

كما أن السلوكيات السلبية والصور المشينة التي تظهر من الإنسان في مظهره وتعاملاته مما تقع عليها الأبصار وتؤذي أصحاب الفطر السليمة هي نوع من الضرر المعنوي المنهي عنه قياساً على ما سبق، وما ينطبق على الضرر الذي ذكره الفقهاء قديماً - بصوره المختلفة - من عقوبات وأحكام ينطبق على ما هو موجود في مجتمعاتنا المعاصر من مظاهر وصور للتلوث.

**خامساً: استشعار المسؤولية العامة نحو شركاء البيئة والمجتمع:**

الإنسان لا يعيش في البيئة بمفرده بل يشاركه آخرون؛ سواء من بني جنسه من البشر أو من الكائنات الأخرى على اختلاف أجناسها وأنواعها، والجميع ينعمون بخيراتها، كما يشقون جميعاً بما فيها من خلل واضطراب.

وهذا واضح في أمر التلوث عموماً أو التلوث السمعي والبصري على وجه الخصوص، فمع أن من يقوم به حفنة من أبناء المجتمعات إلا أن الجميع يكتونون بلظى تلك الفعال، وهذا ناتج عن عدم استشعار المسؤولية العامة نحو البيئة المحيطة وما بها من بشر ومخلوقات وكائنات.

والمتتبع لنصوص الإسلام وتعاليمه يتضح له أن الإسلام عمل من خلال تلك النصوص على تربية أتباعه على استشعار المسؤولية العامة سواء نحو البيئة الطبيعية والمجتمعية، أو نحو جيرانه في البيئة من بني البشر، فمسؤولية الإنسان في الإسلام غير قاصرة على حدود نفسه أو مَنْ يعول، بل إنها مسؤولية عامة وشاملة لكل ما يمكن أن يقوم به الإنسان، وما يُخول له القيام به، ومن النصوص التي تقرر تلك الحقيقة قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِمَدِّ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فالخطاب في الآية للجميع بالنهي عن الإفساد في الأرض بعد وجودها صالحة للحياة، ومن ثم فالمسؤولية مشتركة.

(١) سورة الأعراف آية: ٥٦.

ومن تلك النصوص التي تجسد المسؤولية البيئية والمجتمعية العامة: حديث سيدنا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ (رضي الله عنه): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَمَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ آذَوْهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، فَأَسْتَقَيْنَا مِنْهُ وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، ... (الحديث (١)).

فالحياة التي نعيش فيها والبيئة التي تحيط بنا كالسفينة وكل الخلق في الحياة ركبان عليها، وكما أن أي خرق في السفينة يحدث عرقها كذلك فإن إحداث أي خلل أو إفساد في البيئة أو المجتمع يهلك به الجميع، وهذا هو الواقع في أزمة المناخ الآن فالعالم كله - وليس المجتمع فحسب - يعاني من تصرفات مجموعات من البشر قاموا بالتصرف السلبي في ممتلكاتهم، وظنوا أن لهم الحق في فعل ما يشاؤون طالما أن ذلك في ملكهم، وهكذا الحال في أمر التلوث السمعي أو البصري، فالإنسان الذي يقوم بفتح الأجهزة الصوتية في بيته هو في ملكه وحقه المشروع إلا أنه يؤدي من يجاوره، وهذا الذي يضع القمامة أمام بيته، أو النفايات في مجاري المياه أو غير ذلك كل هؤلاء وأولئك يظنون أن لهم الحق في فعل ما يشاؤون في ممتلكاتهم الخاصة أو العامة دون مراعاة لمن يشاركونهم البيئة والمجتمع؛ نتيجة عدم استشعار المسؤولية.

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ك: الشركة، ب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ج٢ ص ٨٨٢، حديث رقم ٢٤٩٣.

كما أن الإسلام يُحَمِّلُ جموع الناس مسؤولية نظافة الطرقات والمساجد والأماكن العامة بإزالة ما بها من أذى وقاذورات دون الالتفات إلى واضعها، أو انتظار من يقوم برفعها من المتخصصين كما في أحاديث النبي (ﷺ) التي تدعو إلى إمطة الأذى عن الطريق، وتجعل ذلك من الإيمان - كما سبق - أو دفن النخامة في المسجد، وغيرها من النصوص التي سَتَرِدُ في حينها، والتي تحث على التكافل والمسؤولية البيئية والمجتمعية المشتركة.

**سادساً: نقوى الله ومراقبته وقاية للمجتمع من التلوث السمعي والبصري:**

إن من أهم أسباب التلوث السمعي والبصري في المجتمعات فقدان الرقابة البشرية، وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين وتجاه المجتمع ككل، فالإنسان الذي يضع الأذى في أماكن الناس لا يأبه بقانون بشري ولا بملاحظة الآخرين له، وخيرهم الذي يتلفت حوله ليتأكد من عدم رؤية أحد له؛ ولهذا فإن الإسلام ارتقى بالمسلم ليجعل سلوكه نحو بيئته منطلق من وجدانه ومراقبته لربه، وتلك هي الرقابة التي يربي الإسلام أتباعه عليها، وهي الرقابة الإلهية قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، بل إن الإسلام بيّن أن هناك مساءلة ومحاسبة عن كل شيء فلم يتوقف الأمر عند حد المراقبة والاطلاع فحسب، قال تعالى: ﴿وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحديد آية: ٤.

(٢) سورة النحل من آية: ٩٣.

ولقد جعل الإسلام تقوى الله ومراقبته أساساً من أهم أسس تعامل الإنسان مع الآخرين وعلاقته بما ومن حوله، كما جعلها الإسلام عامل إلزام والتزام بما شرّع من تشريعات وأحكام في هذا الميدان، ولا أدل على ذلك من أن أكثر المواطن التي حث فيها الإسلام على تقوى الله هي مواطن للحديث عن المعاملات والعلاقات.

ومن ثم فإن المسلم الذي يتقي ربه، ويتخذ منه رقيباً عليه في كل سلوكياته وتصرفاته، ويستشعر المساءلة أمامه يوم القيامة لن يفسد في البيئة المحيطة والمجتمع بأي نوع من أنواع الإفساد، فلن يشوه وجه الطبيعة الجميل الذي خلقه الله فأحسن خلقه، ولن يؤدي أحداً ممن يعيش معه في المجتمع بأي نوع من أنواع الأذى المسموع أو المرئي، بل سيحرص كل الحرص على رفع أي شيء يؤدي الآخرين لا شيء سوى الخوف من الله ومراقبته، وطمعاً في ثوابه.

ولو أن كل إنسان انطلق في تعامله مع من وما حوله من منطلق تقوى الله والخوف من المساءلة لقام بدوره في الحياة على أعلى درجة من الإحسان، لعلمه أن الله يراه ومحاسبه، ومن ثم لن تكون هناك ملوثات ولا إبداعات من أي نوع من الأنواع.





**المبحث الثالث**  
**خطوات علاج التلوث السمعي**  
**في ضوء تعاليم الإسلام**



## المبحث الثالث

## خطوات علاج التلوث السمعي في ضوء تعاليم الإسلام.

بالنظر في تعاليم الإسلام ونصوصه يمكن استنباط عدد من الخطوات المهمة التي تسهم بنصيب كبير في حفظ البيئة من الملوثات السمعية، وتحقيق السكن المجتمعي، ومن تلك الخطوات:

## أولاً: التأكيد على حاجة الإنسان إلى السكينة والعمل على تحقيقها:

إن حاجة الإنسان إلى السكينة والهدوء كحاجته إلى الطعام والشراب، فالإنسان يحتاج إلى السكينة والهدوء ليخلد إلى النوم والراحة، وإلا تعرض لمضاعفات قد تصل به إلى الموت، كما أنه يحتاج إلى الهدوء لإنجاز بعض الأعمال التي تحتاج إلى تركيز، وكذلك لأداء العبادات، وليس معنى هذا أن الإنسان لا يحتاج إلى هدوء وسكينة في باقي الأوقات، فقد ثبت فيما سبق أن تعرض الإنسان للضوضاء لفترات طويلة يكون له آثاره السلبية على نفسه وجسده.

وهنا تظهر حكمة الجليل - سبحانه وتعالى - في تقسيم الزمن إلى قسمين: قسم للراحة والسكن وهو الليل، وجعله الله مهياً لذلك؛ حيث الظلمة والهدوء، وتوقف النشاط الإنساني، وقسم للعمل والسعي والنشاط هياًه الله لذلك حيث الضوء والدفء والقدرة على مزاولة النشاط والحركة.

فإذا كان الله - عز وجل - جعل السكون والهدوء ليلاً من سننه الكونية، فإن إشاعة الضوضاء والصخب والضجيج وقطع الهدوء والسكينة على الناس بما يؤدي سمعهم من أصوات فيه اعتداء على سنة كونية من سنن الله وتفويت لمصالح العباد.

من هنا جاءت تعاليم الإسلام لتحقيق للإنسان ما يحتاجه من السكينة والهدوء داخل بيئته لا سيما في تلك الأوقات التي يحتاج فيها إلى الراحة والنوم بالليل، فبيّن القرآن الكريم أن الليل محل للسكن والهدوء، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولن يتحقق هذا السكن إلا إذا خلا الليل من الملوثات السمعية من ضوضاء وصخب وغيرهما، إذ كيف يكون الليل ظرفاً للسكن كما أخبر القرآن الكريم وتخلله تلك الملوثات السمعية التي تقطع على الإنسان راحته، وتقلق نومه.

ومن الآداب والتوجيهات النبوية التي تعمل على تحقيق ذلك حديث سيدنا أبي بزة قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا)<sup>(٣)</sup>، وحديث أمنا السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا، وفي رواية عبد الله بن مسعود قال: (جَدَبَ<sup>(٤)</sup> لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ)<sup>(٥)</sup>،

(١) سورة الأنعام من الآية: ٩٦ .

(٢) سورة غافراًية: ٦١ .

(٣) صحيح البخاري، ك: مواقيت الصلاة، ب: ما يكره من النوم قبل العشاء، ج١ص٢٠٨ حديث رقم ٥٤٣.

(٤) "الجذبُ: العيب" والمراد هنا: عاب رسول الله. انظر: مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر ص١١٩، تحقيق: محمود خاطر، دط، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٥) سنن ابن ماجه، ك: الصلاة، ب: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها، ج١ص٤٤٨ حديث رقم ٧٠٢، مرجع سابق .

وفي رواية الإمام أحمد: (يَجْدِبُ لَنَا السَّمَرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ) <sup>(١)</sup>، والحديث والسمر المنهي عنه أو المكروه بعد العشاء هو الحديث والسمر الذي لا مصلحة فيه ولا فائدة من ورائه، فالكراهة - كما ذكر شراح الحديث - مخصوصة بما إذا لم يكن في أمر مطلوب، وقيل هي مطلقة في كل الحديث <sup>(٢)</sup>.

ومن التوجيهات النبوية التي تسعى إلى تحقيق هذا الهدف حديث سيدنا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (إِيَّاكُمْ وَالسَّمَرَ بَعْدَ هُدُوءِ اللَّيْلِ،...) <sup>(٣)</sup>.

تلك التوجيهات النبوية وغيرها تُوحى بمدى حرص الإسلام على المحافظة على صفة الليل من الهدوء والسكون لتحقيق الراحة للإنسان، فإذا كان رسول الله (ﷺ) كره الحديث بين المسلمين بعد العشاء فيما لا طائل منه؛ حرصاً على تحقيق السكون والهدوء، فما بالناس يتخلل سكون الليل ويقطع هدوءه ويقطع على الناس نومهم وراحتهم من ملوثات سمعية جعلت من الليل ميداناً للصخب والغناء، والأصوات المرتفعة، وأبواق السيارات، ومكبرات الصوت في الأفراح والأتراتح والمناسبات!

**ثانياً: الحث على الاعتدال في درجة الصوت ونداوته، والنهي عن الإسراف في الكلام:**

الصوت عموماً سواء صدر عن آلة أو إنسان هو أداة من أدوات

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن مسعود، ج٣ ص٥٤٥ حديث رقم ٣٦٨٥.  
(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م، ج٢ ص٧٣، شرح النووي على مسلم، ج٥ ص١٤٦، مرجع سابق.  
(٣) الأدب المفرد مخرجاً، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٣، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، باب غلق الباب بالليل، ج١ ص٤٢٢، حديث رقم ١٢٣٠.

التلوث السمعي، ويختلف تأثيره السلبي باختلاف درجته ومعدل ارتفاعه، ولا يقتصر التلوث السمعي على درجة الصوت، بل إن طول الحديث وخروجه عن معدله الطبيعي فيه إثقال على السمع وإيذاء للنفس بكثرة الكلمات وإن كان الصوت معتدلاً.

والمتأمل في نصوص التشريع الإسلامي يتضح له أن الإسلام اهتم بالأصوات الصادرة من الإنسان من حيث درجة الصوت واعتداله لما له من آثار سلبية على البدن والنفس، وكذلك اهتم بحسن الصوت ونداوته لما له من آثار على النفس، كما اهتم بالاعتدال في الحديث وعدم الإسراف، ويتضح هذا مما يلي:

#### أ- فأما عن درجة الصوت أو معدل ارتفاعه:

١- فإن الإسلام يوجه إلى الاعتدال في الصوت وعدم رفعه إلا في المواطن التي تتطلب ذلك؛

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَعِيَرِ﴾<sup>(١)</sup>، " وَالْعَضُّ: نَقْصُ قُوَّةِ اسْتِعْمَالِ الشَّيْءِ ... وَغَضُّ الصَّوْتِ: جَعْلُهُ دُونَ الْجَهْرِ. وَجِيءَ بِـ مِنْ الدَّالَّةِ عَلَى التَّبَعِيضِ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ يَغْضُ بَعْضُهُ، أَيْ بَعْضُ جَهْرِهِ، أَيْ يَنْقُصُ مِنْ جَهْرَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ بِهِ إِلَى التَّخَافَتِ وَالسَّرَارِ، فَلَا يَرْفَعُهُ إِلَّا إِذَا اسْتَدْعَى الْأَمْرَ رَفْعَهُ، وَلَا يَتَكَلَّفُ فِيهِ<sup>(٢)</sup> .

ومن حِكْمِ غَضِّ الصَّوْتِ - كما ذكر المفسرون - عدم إيذاء السامع" إذ إنَّ الْجَهْرَ بِأَكْثَرٍ مِنَ الْحَاجَةِ يُؤْذِي السَّامِعَ، كما أن غَضَّ

(١) سورة لقمان من آية: ١٩. طق طق

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤م، ج ٢١ ص ١٦٨.

الصوتِ أَوْقَرَ للمتكلم وأبسطُ لنفس السامع وفهمه، وفيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث واستقامته، بالإضافة إلى ما في رفع الصوت من قبح ينكره الناس (١).

ومما يدل على هذا المعنى ويؤكد على أهميته الأمر بالاعتدال في الصوت حتى مع أداء العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٢).

٢-٢. شدد القرآن الكريم في أمر من يرفع صوته لغير حاجة: فأنكر عليه في الآية وشبه صوته بصوت الحمير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، " وفيها تعليل للأمر بخفض الصوت، وللنهى عن رفعه بدون موجب؛ أي: إن أقبح الأصوات وأبشعها لهُو صوت الحمير، فالجملة الكريمة حض على غض الصوت بأبلغ وجه، حيث شبهه - سبحانه - الرافعين لأصواتهم في غير حاجة إلى ذلك، بأصوات الحمير التي هي مثار السخرية مع النفور منها" (٣).

وفي الحكمة من اختصاص صوت الحمير ذكر المفسرون: إن الحيوانات الأخرى تصيح وترفع أصواتها لثقل الأحمال كالبعير وغيره، أما الحمار فلو مات تحت الحمل ما رفع صوته، ولكنه يرفع صوته لغير

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ - ١٤١٨ هـ، ج ٤ ص ٣٢٢.

(٢) سورة الإسراء آية: ١١٠ .

(٣) التفسير الوسيط ، د.محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر- القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١١ ص ١٢٣.

حاجة<sup>(١)</sup>، ومن ثم فإن رفع الصوت المنهي عنه هو ما كان لغير حاجة.

وفي إطار التحذير من رفع الصوت والصخب أشارت النصوص إلى أن الصخب والصياح من صفات المنافقين كما جاء في حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): وفيه (إن للمنافقين علامات يعرفون بها... ومنها - خشب بالليل صخب بالنهار)<sup>(٢)</sup>.

ب-وأما عن اهتمام الإسلام بحسن الصوت ونداوته: فيظهر في كثير من نصوص الإسلام منها حديث سيدنا عبدالله بن زيد المتعلق بالأذان وفيه قول الرسول (ﷺ) لزيد وقد رأى رؤيا الأذان:

(...فَقَمَّ مع بلالٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ ما رَأَيْتَ فليؤدِّنْ به، فَإِنَّهُ أَدَى صوتاً منك!)<sup>(٣)</sup>.

فقد كان الأولى برفع الأذان من رآه وأخبر به رسول الله (ﷺ)، وهو سيدنا عبدالله بن زيد، غير أن النبي (ﷺ) أمره بأن يعلمه بلال لنداوة صوته، وفي هذا دلالة على اهتمام الإسلام بتحسين الصوت؛ لما فيه من أثر طيب على النفس، ولما في عكس ذلك من فظاظة الصوت وغلظته وشذوذه من آثار سلبية على النفس ونفورها، وهذا ما يحدث في مجتمعاتنا المعاصرة عندما يتعرض للأذان أو للصلاة إنسان سيئ الصوت، ومما ورد في ذلك - أيضاً - حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ج ٢٥ ص ١٢٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وحسنه أحمد شاكر، مسند الإمام أحمد، ابتداء مسند أبي هريرة، ج ٨ ص ٣٦، حديث رقم ٧٩١٣.

(٣) سنن ابن ماجة، ك: الأذان، ب: بدء الأذان، ج ١ ص ٢٣٢ حديث رقم ٧٠٦، سنن أبي داود، ك: الصلاة، ب: كيف الأذان، ج ١ ص ١٨٧ حديث رقم ٤٩٩.



رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (لَيْسَ مَنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ) <sup>(١)</sup>، والمقصود "تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِهِ" <sup>(٢)</sup>.

ج- النهي عن الإسراف في الكلام، فقد حذر الإسلام من الثثرة وكثرة الكلام، حيث إن الثثرة وكثرة الكلام من أنواع الأذى السمعي، فهي تمثل عبئاً على أذن السامع ونفسه، وتشويشاً لفكره، وهذا النوع من الأذى عالجها رسول الله (ﷺ) بالنهي عن الإسراف في الكلام والثثرة به، حيث ذم رسول الله (ﷺ) الثثرارين، ففي حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه)، **عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرَثَارُونَ.. الحديث) <sup>(٣)</sup>**، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ( ... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلَافًا، الثَّرَثَارُونَ، .... الحديث) <sup>(٤)</sup>**، قيل: " هُم الَّذِينَ يُكْثِرُونَ الْكَلَامَ تَكَلُّفًا وَخُرُوجًا عَنِ الْحَقِّ. وَالثَّرَثَرَةُ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَتَرْدِيدُهُ" <sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى "وأسرؤا بالقول أو اجهروا به" ج٦ص ٢٧٣٧، حديث رقم ٧٠٨٩.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي ت: علي حسين البواب،

دار الوطن - الرياض، ج٣ص٣٦٨.

(٣) رواه الإمام البخاري وصححه الألباني، الأدب المفرد مخرجا، ج١ص٤٤٣ حديث رقم ١٣٠٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد وحسنه شعيب الأرنؤوط، مسند أحمد ط الرسالة ج٢٩ ص ٢٦٧، حديث رقم ١٧٧٣٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ ص ٢٠٩.

### مما سبق يتضح:

- ١- أن القرآن الكريم أمر بخفض الصوت والاعتدال فيه، وفي هذا حفظ للبيئة من إحدى عوامل ومصادر التلوث السمعي.
- ٢- أن الأصوات لا تُدم لذاتها فهي من خلق الله، وإنما العلة في ذم الأصوات ونكرانها إما لخروجها عن حد الاعتدال، أو لارتفاعها في غير نفع، وإلا فهناك أصوات عالية غير أصوات الحمير لم تُنكر.
- ٣- أن الأذى الصوتي من أشد أنواع الأذى على الإنسان والدلالة على ذلك أن الله - تعالى - ذكر مع رفع الصوت ما لم يذكره مع سرعة المشي من الإنكار والتفبيح، وذلك - كما ذكر المفسرون - لأن " رفع الصوت يؤدي السامع ويقرع الصمّاخ بقوته، وربما يخرقُ الغشاء الذي داخل الأذن، وأما سرعة المشي فلا تؤدي وإن أدت فلا يؤدي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار، ولأن اللمس يؤدي آلة اللمس، والصوت يؤدي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب، ولا كذلك اللمس، وأيضاً فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن؛ لأن اللسان تزجمان القلب" (١).
- ٤- يقاس على ما سبق ذكره من معان في الآيات كل صوت يخرج عن حد الاعتدال فيما لا فائدة منه ولا نفع؛ كرفع الأصوات في الميادين والطرقات والسيارات دون الحاجة، ورفع أصوات الأجهزة الصوتية لتتجاوز مدى الاستماع الفردي لتصل إلى المحيطين والمجاورين في البيوت والطرقات وأماكن العمل وغيرها.

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١٥ ص ٤٥١.

٥- اهتمام الإسلام بجمال الصوت وحسنه، وفي هذا وقاية من بعض صور الأذى السمعي.

**ثالثاً: الحرص على تغطية أماكن اجتماع الناس من الضوضاء والصخب:**

إن من سبل الإسلام في الوقاية من التلوث السمعي الحرص على حفظ السكينة في الأماكن العامة التي من الممكن أن يتواجد فيها الناس غالباً وبصورة جماعية، والعمل على خلوها من كل ما يؤدي من صوت مرتفع أو كلام خارج، ويظهر هذا في توجيه الرسول ﷺ صحابته - والمسلمين من بعدهم - على التزام الهدوء والسكينة في كل مكان ومناسبة، بالسؤال والإجابة أو بالإشارة والتوجيه أو بالأمر أو بالقدوة، وفي ميادين العبادة والذكر، أو الطرقات أو حتى الأسواق، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

أ- ففي المسجد وهو مكان العبادة والطاعة، ويحتاج فيه المسلم إلى الهدوء والسكينة؛ ليتمكن من الخشوع في عبادته لربه ومناجاته؛ يوجه الرسول (ﷺ) المسلمين إلى التزام السكينة والهدوء، وعدم إصدار الجلبة والضجيج إذ فيه قطع للخشوع وتشويش على المسلم في عبادته ومناجاته، ففي حديث سيدنا أبي قتادة، (ﷺ) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى دَعَاهُمْ فَقَالَ: " مَا شَأْنُكُمْ؟ " قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: ( فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا سَبِقْتُمْ فَاتِمُّوا )<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري، ك: الأذان، ب: قول الرجل فاتتنا الصلاة، ج ١ ص ٢٢٨، حديث رقم ٦٠٩ ، صحيح مسلم ، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، ج ١ ص ٤٢١، حديث رقم ٦٠٣.

وفي حديث سيدنا أبي سعيد (رضي الله عنه) ، قال: اعتكف رسول الله (ﷺ) في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشفت السترَ فقال: (ألا إن كُلكم مناجِ ربِّه، فلا يُؤذِنَنَّ بعضُكم بعضاً، ولا يرفع بعضُكم على بعض في القراءة" أو قال: "في الصلاة) (١)، يقول الإمام البغوي: " وكذلك السنَّة في القِرَاءة، وفي كُلِّ ذِكْرٍ يَأْتِي بِهِ خَلْفَ الْإِمَامِ، أَنْ يُسْمِعَ نَفْسَهُ، وَلَا يَغْلِبَ جَارَهُ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، فَأَقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمِعُ أُذُنَيْكَ، وَتُفَقِّهُ قَلْبَكَ، فَإِنَّ الْأُذُنَ عَدْلٌ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ" (٢).

فمع أن الدافع للمسلمين في إحداث تلك الجلبة والضجيج هو حرصهم على إدراك الصلاة وهو غاية محمودة إلا أن الرسول ﷺ ينهى عن ذلك ويأمرهم بعدم العودة والتزام الهدوء.

وفي الحديث الثاني رغم أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يرفعون أصواتهم بقراءة القرآن لا بكلام خارج، إلا أن النبي (ﷺ) أمرهم بعدم رفع الأصوات والجهر بالقراءة لحماية للآخرين من الأذى السمعي.

٢- وفي أثناء ذهاب الصحابة إلى المسجد أو سعيهم للنسك أو السير في الطرقات؛ يحث الرسول (ﷺ) صحابته على خفض أصواتهم بالذكر والدعاء: ففي حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (ﷺ) قال: (إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا) (٣).

(١) سنن أبي داود، وحسنه شعيب الأرنؤوط، ك: الصلاة، ب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ج٢ ص ٤٩٤، حديث رقم ١٣٣٢.

(٢) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج٣ ص ٨٧.

(٣) صحيح البخاري، ك: الأذان، ب: لا يسعى للصلاة وليأت بالسكينة، ج١ ص ٢٢٨، حديث رقم ٦١٠.

وحديث سيدنا ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً وصوتاً للليل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: (أيها الناس! عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>.

وكذلك حديث سيدنا أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر كنا مع رسول الله ﷺ وفي رواية (قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر) فكنا إذا أشرفنا على واد، هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: (أيها الناس ازيغوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم)<sup>(٣)</sup>، قال الطبري: "في هذا الحديث من الفقه كراهية رفع الصوت بالدعاء وهو قول عامة السلف من الصحابة والتابعين"<sup>(٤)</sup>.

فالرسول ﷺ يحث صحابته على التزام السكينة والهدوء والوقار حال مشيهم إلى الصلاة حتى ولو لم يدركوا الجماعة، وفي هذا دلالة على أهمية التزام السكينة والوقار أثناء المشي؛ وقاية من إحداث الضوضاء والجلبة، وفي الحديث الثاني رغم أن الصحابة يؤدون النسك ويحاولون الإسراع لكن مع صياح وأصوات، فأشار الرسول ﷺ عليهم بالتزام السكينة والهدوء.

(١) ضرب من العدو، وهو "الإسراع". يُنظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ص ٤٦٠، تحقيق: أحمد صقر، دط، دارالكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

(٢) صحيح البخاري، ك: الحج، ب: أمر النبي عند الإفاضة ج ٢ ص ٦١٠، حديث رقم ١٥٨٧.

(٣) صحيح البخاري، ك: المغازي، ب: غزوة أحد، ج ٤ ص ١٥٤١، حديث رقم ٣٩٦٨، صحيح مسلم، ك: الذكر والدعاء والاستغفار، ب: استحباب خفض الصوت بالذكر، ج ٤ ص ٢٧٦، حديث رقم ٢٧٠٤.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ج ٥ ص ١٥٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج ٦ ص ١٣٥.

٣- وفي الأسواق كان من هديه (ﷺ) عدم رفع الصوت والصخب: ففي حديث سيدنا عطاء بن يسار، قال: لَقِيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي التَّوْرَةِ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: وفيه : (... لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ<sup>(١)</sup> بِالْأَسْوَاقِ - قَالَ يُؤَسُّ: وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ..... الحديث )<sup>(٢)</sup>.

وقد سئل عن سيرة النبي (ﷺ) في جلسائه، فقيل: ( كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) ... لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ، وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عِيَّابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ)<sup>(٣)</sup>.

مما سبق يتضح:

١- حرص الرسول الكريم (ﷺ) على التزام أصحابه الهدوء والسكينة في كل مجالسهم وأماكنهم التي يرتادونها، لا سيما في أماكن العبادة التي يحتاج الناس فيها إلى ما يعينهم على الخشوع، كما هو الحال في أمر الصلاة وقراءة القرآن وأداء المناسك.

٢- إذا كان الإسلام نهى عن الجلبة والضوضاء ورفع الأصوات الصادرة عن المسلمين حال حرصهم على إدراك الصلاة في جماعة، والذكر في المناسك وتلاوة القرآن والدعاء؛ تحقيقاً للسكينة والهدوء في البيئة المجتمعية ومنعاً للأذى السمعي والتشويش على الآخرين، فإن منع الضوضاء والأصوات العالية الصادرة بلا فائدة وبصورة مبالغ فيها؛ لتحقيق ذلك الهدف أولى.

(١) "السخب" و"الصخب" بمعنى: الصياح والصوت والجلبة، لسان العرب ج١ ص٤٦٤

(٢) مسند الإمام أحمد، أول مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، ج٦ ص١٨٥، حديث رقم ٦٦٢٢.

(٣) شرح السنة للبعوي ج١٣ ص٢٧٤.

٣- وإذا كان الرسول (ﷺ) نهى القراء والذاكرين والمصلين عن رفع أصواتهم بما لا يؤدي الآخريين، فما بالننا بأصوات التليفونات المحمولة في المساجد على اختلاف رناتها من موسيقى وأغاني، وما بالننا بمن يثيرون الضجيج والضوضاء والجلبة والصياح لا لشيء إلا للهو والتسلية، وما بالننا بمن يرفعون أصوات أبواق السيارات والأجهزة الصوتية بالغناء والموسيقى وغيرها من الأصوات التي لا تنفع بل قد تضر.

٤- يقاس على أماكن العبادة التي يحتاج الناس فيها للهدوء والسكينة لأداء العبادة غيرها من الأماكن التي يحتاج الناس فيها الأمر ذاته لأغراض أخرى، فإذا كان من أهداف الإسلام تحقيق البيئة الملائمة للعبادة؛ ولهذا نهى عن رفع الأصوات والجلبة والضوضاء، فإن من أهداف الإسلام أيضاً تحقيق السكينة والهدوء للمرضى وطلاب العلم والمفكرين في مساكنهم وأماكنهم.

٥- هتمام الإسلام بخلو الأسواق وما على شاكلتها من أماكن عامة من الضوضاء والصخب، ويظهر هذا من صفة تعامله (ﷺ) في الأسواق، فما أوجنا إلى الاقتداء بهذا الهدي النبوي الشريف والالتزام به في أسواقنا والأماكن العامة والتي أمست تعج بالملوثات السمعية حيث الأيمان الكاذبة، والصخب، والجهل ورفع الأصوات.

#### رابعاً: التوجيه إلى نظافة البيئة المجتمعية من الملوثات اللفظية:

إن حرص الإسلام على نظافة المجتمع من الكلمات النابية والألفاظ الفاحشة، والأحاديث المجانة التي تحرك الغرائز، وتثير الشهوات، وتؤدي أصحاب الفطر الصافية والطباع السليمة في أسماعهم وأنفسهم لا يقل عن حرصه على نظافة البيئة والمجتمع من الضوضاء والصخب والضجيج، ولقد تبين - فيما سبق - أن من صور التلوث السمعي التي يتعرض له الإنسان في المجتمعات المعاصرة انتشار الألفاظ القبيحة، والعبارات الخارجة، سواء على ألسنة العوام في الطرقات والأماكن العامة والأسواق، أو من خلال الوسائل المسموعة في وسائل المواصلات أو في المحال وحتى في البيوت.

من هنا كان الاهتمام بنظافة المجتمع من مثل تلك الملوثات، وفي سبيل ذلك جاءت توجيهات سيدنا رسول الله (ﷺ)، بصورة متكررة وفي أشكال متعددة لتحقيق ذلك:

١- فقد بين الإسلام ابتداءً أن كل ما يتلفظ به الإنسان سيُسأل عنه من قبل ربه - سبحانه - قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾<sup>(١)</sup>، وإقرار مبدأ المحاسبة والمساءلة في هذا الميدان مهم، وقد سبق الحديث عنه.

٢- كما كان من هديه (ﷺ) تجنب كل ما تستقبحه وتستفحشه النفوس السليمة والفطر النقية من قول أو فعل، ففي حديث سيدنا عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه)، في وصف خلق الرسول (ﷺ) قال: (لَمْ يَكُنْ فَاخِشًا، وَلَا

(١) سورة ق آية: ١٨.



مُتَفَحِّشًا<sup>(١)</sup>، وفي حديث سيدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَانًا...)<sup>(٢)</sup>.

ونحن مطالبون بالافتداء به ويسنته من بعده (رضي الله عنه) قولاً وعملاً، من منطلق المحبة والطاعة ونيل الشفاعة، والطمع في القرب من منزله (رضي الله عنه) في الفردوس الأعلى.

٣. نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن النطق بالكلام القبيح الفاحش في مواطن وأحاديث كثيرة منها؛ حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: (لا تهجروا... أي لا تتكلموا بالهجر وهو الكلام القبيح)<sup>(٣)</sup>، والهجر أو الهجار: هُوَ الْفُحْشُ وَالْخَنَا وَالْكَلامُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي، وَيُقَالُ فِي هَذَا أَهْجَرَ إِذَا أَتَى بِهِ كَذَا ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ<sup>(٤)</sup>.

٤. بيان عواقب من يتصف بالبذاءة واللعن والفحش: حيث نفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتصاف المؤمن بمثل تلك الصفات من لعن، أو طعن، أو فحش، أو بذاءة اللسان، في الوقت الذي بين فيه أن البذاءة من صفات المنافقين، ففي حديث سيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن

(١) أصل الفحش الزيادة والخروج عن الحد، والفاحش البذيء اللسان، والفواحش عند العرب القبانج، الفاحش ذو الفحش والمتفحش الذي يتكلف الفحش ويعتمده لفساد حاله، صحيح مسلم شرح محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص١٨١ حديث رقم ٢٣٢١، شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٩ ص٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري، ك: الأدب، ب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً، ج٥ ص٢٢٤٣ حديث رقم ٥٦٨٤، و(سباباً) يسب ويشتم الآخرين. (لعاناً) يلعن الناس أو غيرهم، تعليق مصطفى البغا، نفس الموضوع.

(٣) صحيح مسلم، ك: البر والصلة، ب: تحريم الظن والتجسس، ج٤ ص١٩٨٥ حديث رقم ٢٥٦٣.

(٤) شرح النووي على مسلم ج١٨ ص١١٩.

النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبُذِيِّ) (١)، وحديث سيدنا أَبِي أَمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (... وَالْبَدَأُ) (٢) وَالْبَيَانُ (٣) شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ (٤).

وأخيراً فمن عواقب تلك الخصال أن الذي يتصف بها يبغضه الله وينال عقابه في النار، ففي حديث سيدنا أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (..... وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيَّ) (٥).

وحديث سيدنا أَبِي بَكْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) (٦).

(١) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، ج ٤ ص ٩٥ حديث رقم ٣٩٤٦، الأدب المفرد للإمام البخاري، باب ليس المؤمن بالطعان، ج ١ ص ١٦٢، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح.

(٢) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، تحقيق: أحمد سليمان، ياسر إبراهيم، ط ١، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج ١ ص ١٩٨.

(٣) البيان: التعمق في النطق والتفصيح وإظهار التقدم فيه على الناس، وكأنه نوع من العجب والكبر، النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير، ج ١ ص ١٧٥.

(٤) أخرجه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني، سنن الترمذي ت: أحمد شاكر، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في العي، ج ٤ ص ٣٧٥ حديث رقم ٢٠٢٧.

(٥) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، وصححه الألباني، سنن الترمذي ت أحمد شاكر، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ج ٤ ص ٣٦٣ حديث رقم ٢٠٠٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه وصححه الشيخ شعيب في تحقيقه، سنن ابن ماجه بتحقيق شعيب الأرنؤوط، أبواب الزهد، ب: الحياء، ج ٢ ص ١٤٠٠، حديث رقم ٤١٨٤.

**مما سبق يتضح أن:** الإسلام نهى المسلم عن التلفظ بكل قول خارج فاحش بذيء، كما حذر من السباب واللعن وفحش القول، وجعل ذلك من علامات النفاق تارة، ومن علامات بغض الله تارة أخرى، ويقاس على ذلك كل ما نسمعه في مجتمعاتنا المعاصرة من ألفاظ وكلمات خارجة عن حدود الدين والأدب والعرف، فأين أولئك الذين يرفعون أصواتهم بالفحشاء؟ ويتغنون بها، ويخاطبون بعضهم بعضاً بألفاظ تعاف الأذن الاستماع إليها وتؤذيها، والألسنة النظيفة النطق بها - أين هم - من تلك التعاليم والتوجيهات السامية الراقية؟ إن مثل تلك الأحكام خير رادع عن قول ما يلوث السمع لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

#### خامساً: النهي عن الترويع والإفزاز ولو مزاحاً:

إن الإسلام نهى ترويع الآمنين وإفزازهم وإخافتهم بأي صورة من الصور أو شكل من الأشكال، وتلك خطوة مهمة من خطوات المنهج الإسلامي في التعامل مع التلوث السمعي، ومن النصوص الدالة على ذلك: حديث سيدنا أنس (رضي الله عنه)، **عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِنًا لَمْ يُؤْمِنِ اللَّهُ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..)** (١)، وحديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: **(لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا)** (٢).

(١) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١،

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، باب الإصلاح بين الناس، ج١٣ ص ٤٥٠ حديث رقم ١٠٦٠٥.

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط، وقال إسناده صحيح، أول كتاب الأدب، ب: من يأخذ الشيء

على المزاح، ج٧ ص ٣٥٢ حديث رقم ٥٠٠٤، السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن

علي بن موسى البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤

هـ - ٢٠٠٣ م، ك: الشهادات، ب: المزاح لا ترد به الشهادة ج١٠ ص ٤٢٠ حديث رقم ٢١١٧٧.

ومما يستفاد من مثل تلك الأحاديث - كما ذكر الفقهاء - عدم جواز ترويع المسلم وإفزاعه ولو على سبيل المزاح أو كان هازلاً لما فيه من الإيذاء له <sup>(١)</sup>.

**ومع أن سياق الأحاديث كان في مواقف تتعلق بالترويع بالسلوك إلا أن** منطوق الأحاديث ونصوصها يفيد النهي مطلقاً عن إفزاع الآمنين وترويعهم، إذ القاعدة الأصولية تفيد أن العبرة بعموم اللفظ، كما أن الترويع بالأصوات - خاصة في مجتمعاتنا المعاصرة - صار أشد ضرراً وخطراً لا سيما بعد اختراع الألعاب النارية من المفرقات وغيرها، وكذلك استخدام كثير من الناس لأبواق السيارات بصورة مفزعة في أوقات الراحة وغيرها، بل نجد البعض يستخدم أبواقاً ذات أصوات مفزعة كمن يستخدمون صوت سيارة الإسعاف أو الشرطة، فكل تلك الأصوات مع ارتفاعها تعمل على ترويع الآمنين من المرضى والأصحاء، في المناسبات والأعياد وغيرها.

ومن ثم فإنها تشترك في علة التحريم مع ما جاء في الأحاديث الشريفة بل إنها أشد، ومن هنا تأخذ حكمها في النهي.

(١) ينظر: نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج٥ ص ٣٧٩، عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ، ج١٣ ص ٢٣٦.



**المبحث الرابع**

**خطوات علاج التلوث البصري**

**في ضوء تعاليم الإسلام**



## المبحث الرابع

## خطوات علاج التلوث البصري في ضوء تعاليم الإسلام.

إن المتتبع لنصوص الإسلام وتعاليمه يتضح له أن الإسلام - من خلال تلك النصوص - وضع جملة من الإجراءات هي بمثابة خطوات عملية لحفظ البيئة الطبيعية والمجتمعية من التلوث البصري وقاية وعلاجاً، وقيماً يلي نماذج من تلك الإجراءات والخطوات:

## أولاً: الترغيب في النظافة وخلو البيئة من الملوثات البصرية:

إن من أولى الإجراءات - الوقائية والعلاجية - التي اتخذها الإسلام لحفظ البيئة من التلوث البصري الترغيب في النظافة والجمال - وهما من أهم عوامل القضاء على التلوث البصري - وذلك ببيان حب الله لهما تارة، وجعلهما في منزلة عالية وعلى درجة من الأجر عظيمة تارة أخرى ويتضح هذا من خلال النصوص التالية:

حديث سيدنا عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ..)<sup>(١)</sup>، وحديث سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنَظَّفُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ)<sup>(٢)</sup>، وحديث سيدنا أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا إِمَاطَةَ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ....

(١) صحيح مسلم ، ك: الإيمان. ب: تحريم الكبر وبيانه، ج ١ ص ٩٣ حديث رقم ٩١ .

(٢) سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في النظافة. ج ٥ ص ١١٢ حديث رقم ٢٧٩٩ .

وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

الحديث<sup>(١)</sup>، وحديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
(.....) وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتَمِيْطُ الْأَدَى عَنِ  
الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ .... )<sup>(٢)</sup>، وحديث سيدنا أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَنْتَفِعَ بِهِ. قَالَ: (اعْزِلِ الْأَدَى عَنِ طَرِيقِ  
الْمُسْلِمِينَ)، وفي رواية له: (دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: (أَمِطِ  
الْأَدَى عَنِ طَرِيقِ النَّاسِ) <sup>(٣)</sup>.

فمن النصوص السابقة يتضح ما يلي:

١- حبب الرسول ﷺ في النظافة والجمال والطيب، من خلال وصف الله  
بها والحث عليها، والجمال والنظافة التي يُرغَّب فيها الإسلام لا  
تقتصر على الجانب الشخصي للإنسان وإنما تشمل الإنسان والبيئة  
على حد سواء، وهما موطن نظر الإنسان، وفيهما ما يُستحسن  
ويستقبح، فأما عن الترغيب في الجمال والنظافة على المستوى  
الشخصي فيدل عليه سياق الحديث الأول، حيث ورد في معرض  
الحديث عن التجميل في البدن، والحديث الثاني برواية الإمام مسلم  
فهو عام في كل طيب طاهر نقي، وأما عن النظافة والتجميل على  
مستوى البيئة الطبيعية والمجتمعية، فتدل عليها باقي النصوص

(١) صحيح مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النبي عن البصاق في المسجد،

ج١ص٣٩٠ حديث رقم ٥٥٣، الأدب المفرد، باب إمطة الأذى، ج١ص١٢١.

(٢) صحيح مسلم، ك: الزكاة، ب: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف، ج٢

ص٦٩٩ رقم ١٠٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه ت: شعيب الأرنؤوط وقال إسناده حسن، أبواب الأدب، ب: إمطة الأذى

عن الطريق، ج٤ص٦٤٢ حديث ٣٦٨١، الأدب المفرد بالتعليقات، ب: إمطة الأذى

ج١ص١٢٠ حديث رقم ٢٢٨.



- فرواية الإمام الترمذي جمعت إلى حب الله للنظافة الحث على نظافة الأبنية في البيوت، وباقي الأحاديث رغبت في نظافة الطرقات.
- ٢- جعل الإسلام خُلُو البيئة من الملوثات البصرية من محاسن الأعمال في صحائف المسلم، وعبادة من العبادات التي يتقرب بها المسلم لربه وصدقة ينال عليها الأجر من الله حيث قرن بينها وبين خطوات الإنسان إلى المساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك كما هو في الحديث، بل جعلت مثل تلك الأعمال باباً من أبواب النفع والخير، والفوز بالجنة، فأى دين هذا الذي يجعل نظافة الطريق عبادة يتقرب بها المسلم لربه وصدقة يتصدق بها على نفسه!
- ٣- الأخذ بأسباب الجمال والنظافة والتطيب سواء في النفوس أو البيوت والطرقات وغيرها عامل مهم من العوامل الدافعة للوقاية من التلوث البصري والذي ينتج - غالباً - عن عدم الاهتمام بالتجمل والنظافة على المستوى الشخصي والبيئي.
- ٤- يمكن الاستدلال بتلك النصوص على الجانب الوقائي والعلاجي في أمر التلوث البصري، فعلى الرغم من أن النصوص تحدثت عن إزالة الأذى وهو خطوة علاجية، إلا أنها تتناول ضمناً من يتحرز عن وضعها، فإذا كان هذا الفضل في حق من يزيل مظاهر التلوث والأذى فهو من باب أولى يكون في حق من لا يصنع تلك الملوثات أصلاً، ومن ثم فإن الامتثال لهذا المبدأ يعد من عوامل الوقاية والعلاج من التلوث البصري في آن واحد.

### ثانياً: الترهيب والتحذير من تعريض الناس للملوثات البصرية:

فإذا كان الإسلام رغب في المساهمة في علاج التلوث البصري والوقاية منه، وأعطى على ذلك الثواب الجزيل والأجر العظيم، فإنه في المقابل رهّب وحذر من كل ما يفسد نقاء البيئة ويعمل على انتشار الملوثات البصرية بها، ومن ذلك: حديث سيدنا أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) - السابق - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): ( غُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنَهَا وَسَيِّئَهَا، ... وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ )<sup>(١)</sup>، وحديث سيدنا أنسٍ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (الْبُرَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا)<sup>(٢)</sup>، وحديث سيدنا حذيفة بن أسيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ)<sup>(٣)</sup>، وحديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ) قالوا: " وَمَا اللَّعَّانِينَ؟ قَالَ: ( الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ )<sup>(٤)</sup>، وفي رواية ابن حبان (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طُرُقِ النَّاسِ وَأُفْنِيَتِهِمْ)<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري، ك: أبواب المساجد، ب: كفاة البراق في المسجد، ج١ص١٦١ حديث رقم ٤٠٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ب: الحاء، أبو الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسد ج٣ص ١٧٩ رقم ٣٠٥٠، ت: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط٢/١٩٩٤م، وقال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١ص ٢٠٤ حديث رقم ٩٩٦.

(٤) صحيح مسلم، ك: الطهارة، ب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ج١ص ٢٢٦ حديث رقم ٢٦٩.

(٥) صحيح ابن حبان - مخرجا، ذكر الزجر عن البول في طرق الناس وأفنيتهم، ج٤ص ٢٦٢ حديث رقم ١٤١٥ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : " قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُرَادُ بِاللَّاعِنِينَ الْأَمْرِينَ الْجَالِبِينَ لِلْعِنِ، الْحَامِلِينَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَالِدَّاعِيَيْنِ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَعَلَهُمَا شَتْمٌ وَلَعْنٌ، يَعْنِي: عَادَةُ النَّاسِ لَعْنَهُ، فَلَمَّا صَارَا سَبَبًا لِذَلِكَ أُضِيفَ اللَّعْنُ إِلَيْهِمَا، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ اللَّاعِنُ بِمَعْنَى الْمَلْعُونِ، وَالْمَلَاعِنُ مَوَاضِعُ اللَّعْنِ. قُلْتُ: فَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ: اتَّقُوا الْأَمْرِينَ الْمَلْعُونِ فَاعِلُهُمَا. وَهَذَا عَلَى رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ، وَأَمَّا رِوَايَةُ مُسْلِمٍ فَمَعْنَاهَا - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - : اتَّقُوا فِعْلَ اللَّعَانَيْنِ، أَيِ صَاحِبِي اللَّعْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ يَلْعَنُهُمَا النَّاسُ فِي الْعَادَةِ. وَاللَّهِ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتضح أن: الإسلام عالج بعض مظاهر التلوث البصري، والتي تُعرضُ الناسَ للأذى والضرر المعنوي، كالبزق في المساجد وقياس عليها أماكن تجمع الناس، إذ إن الحكمة في النهي عدم تعريض الناس للأذى - كما سيأتي - ، وقد جعل الرسول (ﷺ) هذا الأمر من مساوئ الأعمال وعدّها خطيئة من الخطايا.

وأما عن قضاء الحاجة في طرقات الناس وظلمهم، فالأذى البصري يأتي هنا من وجهين: أولهما: رؤية الغائط وهو أمر مقرر أو الالتفات به وهو أشد، وثانيهما: إمكانية رؤية الإنسان أثناء قضاء الحاجة وفيه من الأذى البصري والنفسي ما فيه، وهو أمر مشاهد من البعض في الأماكن الريفية وعلى قارعة بعض الطرق، وقد جعله الرسول (ﷺ) من الفعال التي يستحق فاعلها اللعن.

(١) شرح النووي على مسلم، ج٣ ص ١٦١.

### ثالثاً: الحض على حفظ البيئة الطبيعية من الإفساد والتشويه:

تبين فيما سبق أن من مظاهر التلوث البصري ما يتعلق بالبيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة من اعتداء على المساحات الخضراء، وتشويه لمجري المياه، ووضع النفايات في البراري وأماكن الظل والحدائق.

والمتتبع لتعاليم الإسلام يتبين له أن الإسلام حرص - من خلال توجيهاته - على وقاية تلك البيئة مما يلوث عناصرها ويظهرها في صورة تؤذي الناظرين، ويتضح هذا من خلال أمرين:

أولهما: التوجيه إلى المحافظة على عناصر الطبيعة وإمانتها، لا سيما المساحات الخضراء من الأرض بما فيها من أشجار مثمرة وحدائق مبهجة؛ وقاية من التصحر والخراب وهو أحد مظاهر التلوث البصري، ففي حديث سيدنا يحيى بن سعيد، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ (رضي الله عنه) بَعَثَ جِيُوشًا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، وَمِمَّا أَوْصَاهُ بِهِ: (... وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْفَرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُعْرِقْنَهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ) (١).

وحديث سيدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا، فَلْيُفْعَلْ) (٢)، وحديث أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها - عن

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنبوط، أبواب الجهاد، ب: التحريق في أرض العدو، ج٤٤ ص ١٠٩، موطأ مالك، ك: الجهاد، ب: النهي عن قتل النساء والصبيان في الغزو، ج٢ ص ٤٤٨ حديث رقم ١٠.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة، المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ج٢٠ ص ٢٩٦، حديث رقم ١٢٩٨١، الأدب المفرد مخرجا، باب اصطناع المال، ج١ ص ١٦٨ حديث رقم ٤٧٩، وصححه الألباني في الأدب المفرد.

النبي (ﷺ) قال: (مَنْ أَعْمَرَ أَرْضاً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ؛ فَهُوَ أَحَقُّ). قال عروة: قضى به عُمرُ رضي الله عنه في خلافته (١).

ويتضح من تلك الأحاديث: أن الإسلام اهتم بالمحافظة على طبيعة البيئة وجمالها وما بها من كثافة خضرية، ففي حال الحرب وقتال العدو يحفظ الإسلام لعناصر البيئة طبيعتها، ويحافظ عليها من الإفساد والتشويه لتبقى تمد الإنسان بالبهجة والسرور والمتعة عند النظر إليها.

وإن اهتمام الإسلام بغرس الأشجار - والتي هي إحدى مصادر إشباع البصر - لم يتوقف حتى مع قيام الساعة، فأى دين هذا الذي يهتم بغرس الأشجار في الوقت الذي يذهل فيه الإنسان عن الولد والأهل والمال!

وفي الحديث الأخير يظهر اهتمام الإسلام بعمارة الأرض وإحيائها؛ لأن الأرض الميتة موحشة خربة ووجودها مظهر من مظاهر التلوث البصري.

ثانيهما: النهي عن تشويه عناصر الطبيعة بإلقاء المخلفات وغيرها، ويستدل على هذا من حديث سيدنا أبي هريرة السابق (اتَّقُوا اللَّعَانِينَ... الحديث)، وحديث سيدنا معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظَّلَّ) (٢)، والموارد: جمع مورد، وهو الماء الذي يرد عليه الناس من عين أو نهر، والمراد من "ظلمهم" مستظلمهم الذي اتخذوه مقبلاً ومناخاً، ينزلونه ويقعدون فيه (٣).

(١) صحيح البخاري، ك: المزارعة، ب: من أحيا أرضاً مواتاً، ج٢ ص ٨٢٣، حديث رقم ٢٢١٠.  
(٢) سنن أبي داود ت: شعيب الأرنؤوط وقال حسن لغيره، ك: الطهارة، ب: المواضع التي نهى عن البول فيها، ج١ ص ٢١ حديث رقم ٢٦.  
(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج٢ ص ١٩٧.

ويستدل من تلك الأحاديث: على حرص الإسلام على بقاء عناصر الطبيعة نظيفة صافية خالية مما يؤدي البصر ويؤثر على النفس، أو على أقل تقدير لا يجعل الإنسان يستمتع بتلك الطبيعة كما ينبغي، لا سيما تلك التي يتعامل معها الإنسان بصورة مباشرة، كالأنهار والجداول والترع، وأماكن التنزه.

ويُقاس على النهي عن قضاء الحاجة في تلك الأماكن النهي عن كل ما يطرح في مجاري المياه - من أنهار وغيرها - من مخلفات زراعية أو حيوانية أو حيوانات نافقة، أو غيرها من الأشياء التي تلوثها داخلياً وتشوه جمالها خارجياً، كما يُقاس على أماكن الظلِّ الحدائق والمنتزهات وأماكن التنزه في الصحراء لمن عادتهم ذلك.

رابعاً: الاهتمام بخلو أماكن تواجد الناس واجتماعهم من التلوث البصري.

فالمتمأمل في نصوص الإسلام - سواء التي سبق ذكرها أو غيرها - يتضح له أن الإسلام حرص كل الحرص على نقاء البيئة المجتمعية المحيطة بالإنسان من كل ما يتأذى منه بصره، حيث جاءت النصوص الشرعية أمرة وناهية، مرغبة ومحذرة للعمل على نظافة أغلب الأماكن التي يرتادها الإنسان في حياته بداية من فناء البيت، مروراً بالطرقات والمساجد والأماكن العامة، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

١- الألفية: الألفية هي مقدمات البيوت وعنوانها، ومظهر من مظاهر الجمال والنظافة أو القبح والتلوث، وإن من مظاهر التلوث البصري المنتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة - خاصة في القرى وبعض الأماكن في المدن - وجود أكوام الأتربة أو المخلفات الحيوانية أو القمامة أمام البيوت في القرى، ووجود أكياس القمامة وما بها من بقايا

الطعام والفضلات في مداخل العمارات والبيوت بشكل يؤدي المارة في أبصارهم ونفوسهم قبل أجسادهم، فضلا عن أن تلك المظاهر تعطي انطباعاً سلبياً في النفوس عن البيوت وما بداخلها، من هنا كان حث الرسول (ﷺ) على نظافة الأبنية، ففي حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنَظَّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ) (١).

والفناء هو المكان الواسع أمام البيت، وقيل عتبة البيت وقبالتة، ويقصد به مدخل البيت مما يلي الطريق (٢).

فنظافة أبنية البيوت وقبالتها، وعدم وجود الأذى والقاذورات أمامها من المظاهر الجمالية، ويحفظ البيئة من مظاهر التلوث البصري.

٢- الطرقات: من أكثر الأماكن التي أولاها الإسلام اهتماماً وحرصاً على خلوها من الملوثات البصرية وغيرها الطرقات؛ ولعل الحكمة من ذلك أن الطرقات من أكثر الأماكن البيئية استخداماً ومروراً من قبل أبناء المجتمع وغيرهم، ومن ثم فإذا كانت الطرقات نظيفة خالية مما يتأذى منه الناس بصرياً كان لذلك أثره الإيجابي على نفسية المارة وحياتهم، وبالإضافة إلى ذلك فإن الطرقات في البلدة هي عنوان للبيئة والمجتمع، ودلالة على تحضره أو العكس، من هنا كان اهتمام

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج٧ ص ٢٨٤٦.

الإسلام بخلو الطرقات من الملوثات البصرية، سواء على المستوى النظري أو العملي.

فأما على المستوى النظري فهناك الكثير من النصوص النبوية التي وردت في هذا الشأن، وقد سبق ذكر بعضها ومنها: حديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (١)، وحديث سيدنا حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طَرِيقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) (٢)، وحديث سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ، -فَأَخَذَهُ - فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) (٣).

فالتأمل في تلك الأحاديث الشريفة وغيرها يتضح له أن النصوص النبوية اهتمت بنظافة الطريق من الأذى بدرجة كبيرة، من خلال الأساليب المستخدمة في الدعوة إلى هذا الأمر، وما رتب على ذلك من جزاءات أخروية، والمكانة التي وضعت النصوص فيها ذلك العمل، ويفهم من الأحاديث أنه إذا كان الإسلام رتب على رفع الأذى من الطريق كل هذا الفضل وتلك المكانة، فإن وضع الأذى في الطريق - في المقابل - يترتب عليه ما يترتب من الآثام والذنوب والجزاء.

وأما على المستوى العملي: فقد اهتم الفقهاء بهذا الأمر ووجهوا إلى ضرورة حفظ الطرقات وتخليتها من كل ما يؤدي المارة ويوقع الضرر بهم

(١) صحيح البخاري ، ك: المظالم، ب: إمطة الأذى، ج٢ ص ٨٧١ حديث رقم ٢٨٢٧.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) صحيح البخاري، ك: الجماعة والإمامة، ب: فضل التهجير إلى الظهر، ج١ ص ٢٣٣ حديث

رقم ٦٢٤، صحيح مسلم، ك: الإمارة، ب: بيان الشهداء، ج٣ ص ١٥٢١ حديث رقم ١٩١٤.



مادياً كان هذا الضرر أم معنوياً، وكتب الفقه والسياسة الشرعية زاخرة بمثل تلك الأحكام والتوجيهات، ومن ذلك ما ورد من أنه " لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ إِخْرَاجُ جِدَارِ دَارِهِ، وَلَا دُكَّانِهِ فِي الطَّرِقاتِ إِلَى المَمَرِ المَعهُودِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ أَدِيَّةٌ، وَإِضْرَارٌ عَلَى السَّالِكِينَ، كَالْمِيَاذِبِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الحِيطَانِ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَمَجَارِي الأَوْسَاحِ الخَارِجَةِ مِنَ الدُّورِ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ إِلَى وَسَطِ الطَّرِيقِ. بَلْ يَأْمُرُ المُحْتَسِبُ أَصْحَابَ المِيَاذِبِ أَنْ يَجْعَلُوا عَوْضَهَا مَسِيلاً مَحْفُوراً فِي الحَائِطِ مُكَلَّساً<sup>(١)</sup>، يَجْرِي فِيهِ ماءُ السَّطْحِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي دَارِهِ مَخْرَجٌ لِلوَسْخِ إِلَى الطَّرِيقِ، فَإِنَّهُ يُكَلِّفُهُ سَدَّهُ فِي الصَّيْفِ، وَيَحْفِرُ لَهُ فِي الدَّارِ حُفْرَةً يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا"<sup>(٢)</sup>.

ومما ذكره الفقهاء أيضاً: " أَمَّا الطَّرِقاتُ الضَّيِّقَةُ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ السُّوقَةِ الجُلُوسِ فِيهَا، وَلَا إِخْرَاجُ مِصْطَبَةٍ دُكَّانِهِ عَنْ سَمْتِ أَزْكَانِ السَّقَائِفِ إِلَى المَمَرِ؛ لِأَنَّهُ عُدْوَانٌ، وَيُضَيِّقُ عَلَى المَارَةِ فَيَجِبُ عَلَى المُحْتَسِبِ إِزَالَتَهُ، وَالْمَنْعُ مِنْ فِعْلِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ لُحُوقِ الضَّرَرِ بِالنَّاسِ"<sup>(٣)</sup>.

ويقاس على مثل تلك الصور من الأذى والضرر التي ذكرها الفقهاء ما هو موجود في زماننا من مظاهر للتلوث البصري في الطرقات وأمام

(١) التكليل: التمليل. وطين التكليل: طين يُطلى به لستر حجارة الحائط. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد ٥٨٨٩/٩، تحقيق: حسين العمري وآخرين، ط١، دار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. وانظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دوزي، تحقيق وتعريب: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط١، وزارة الثقافة العراقية: بغداد، ١٩٧٩.

(٢) نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين الشيزري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ١٤.

(٣) معالم القرية في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن بن الأخوة، دار الفنون - كمبردج، ص: ٧٨.

البيوت من كثرة لوحات الإعلانات وأكوام القمامة، وإشغال الطرق بالآلات والبضائع والمباني وغيرها مما يذهب نظافة البيئة وجمالها.

ومن ثم فإن التزام هدي الإسلام في صورتيه النظرية والعملية يجعل الطرقات نقية نظيفة منظمة خالية من الأذى والإشغالات يقي من الملوثات البصرية وغيرها من كل ما يتأذى منه المارة.

٣- المساجد والأماكن العامة: المساجد بيوت الله، وهي دور عبادة المسلمين لربهم وأماكن تجمعهم، وقد حرص الإسلام على خلو المساجد من كل ما تتأذى منه الأبصار، حيث شدد الرسول (ﷺ) في هذا الأمر، ويظهر هذا فيما سبق من أحاديث جعلت طرح الأذى في المسجد خطيئة ومن مساوئ الأعمال، وفي المقابل فدفن الأذى وإماطته من المساجد من أفضل الأعمال وكفارة لطرحة، ففي حديث سيدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (الْبِرَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) <sup>(١)</sup>، وحديث سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَبَزَقَ فِيهِ أَوْ تَنَخَّمَ، فَلْيَحْفَرِ فِيهِ فَلْيُبْعِدْ، فَلْيَدْفِنْهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَبْرِزْ فِي ثَوْبِهِ) <sup>(٢)</sup>، وحديث سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: (إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيُعَيِّبْ نُخَامَتَهُ أَنْ يُصِيبَ جِلْدَ مُؤْمِنٍ أَوْ ثَوْبَهُ فَيُؤْذِيَهُ) <sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سنن أبي داود ت: شعيب الأرنؤوط وقد حسن إسناده، ك: الصلاة، ب: كراهية البزاق في المسجد، ج ١ ص ٣٥٥ حديث رقم ٤٧٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص ج ٢ ص ٢٥٣ حديث رقم ١٥٤٢.

فمما لا شك فيه أن من صور الأذى التي يتعرض لها الناس في أي مكان وقوع بصرهم على النخامة وما في حكمها مما يخرج الإنسان، فلتلك الصورة أثر سلبي على النفس وتختلف شدته من إنسان لآخر، وفي الأحاديث السابقة بين الرسول (ﷺ) أن طرح النخامة أو البصاق في المسجد نوع من الخطيئة وأرشد إلى ضرورة دفنها، كما ذكر الحديث علة الأمر بدفن النخامة في المسجد وهو تجنب المؤمنين الأذى.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بوقاية المساجد من الملوثات البصرية؛ الأمر بإحسان الهيئة وأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد، وسيأتي تفصيل ذلك في النقطة التالية.

وإذا كانت العلة من النهي - كما أشار الحديث - عدم تعريض المسلمين للأذى فيقاس على النهي عن تعريض المسلمين للأذى البصري في المسجد النهي عن تعريضهم له في أي مكان يجتمع فيه المسلمون من أماكن العمل والأسواق وغيرهما، فالأذى الذي يتعرض له الإنسان من رؤية النخامة واحد سواء أكان في المسجد أو خارجه.

#### خامساً: الاهتمام بضبط سلوك المسلم ومظهره الشخصي.

إن مظاهر التلوث البصري لا تقتصر على البيئة الطبيعية أو الأماكن العامة والطرق، ولكن بعض الأشخاص - أحياناً كما سبق بيانه - يكونون مظهرًا من مظاهر التلوث والأذى البصري في هيئتهم أو سلوكهم؛ من هنا فقد جاءت تعاليم الإسلام لتوجه المسلم إلى الاهتمام بمظهره الخارجي بحيث لا يتأذى منه أحد، وضبط سلوكه بأداب الإسلام فلا يتصادم مع فطرة نقية، ومما ورد في ذلك:

١- فيما يتعلق بمظهر الإنسان الشخصي وهيئته؛ فقد اهتم الإسلام من خلال آدابه وتشريعاته بمظهر المسلم في هيئته وملبسه؛ ليظهر بصورة حسنة غير منفرة ولا تصدم نظر أصحاب الفطر السليمة، ومن ثم لا تظهر مثل تلك الصور التي نراها في مجتمعاتنا اليوم، ومن التوجهات في ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ عَادَمَ حُدُوًا زَيْنَتُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾<sup>(١)</sup>، فبالوقوف على سبب نزول تلك الآية الكريمة - فيما ذكره المفسرون - يتضح أن المقصود بالزينة هنا اللباس الحسن الذي تُستر به العورة، وأن التكشف والتعري قبح وأذى يجب ستره عن أعين الناس، حيث إن الآية نزلت فيمن كانوا يطوفون بالبيت عرايا فأمر القرآن بأخذ ما يستر تلك العورات من ثياب حسنة، وبمفهوم المقابلة يفهم أن التستر بالثياب الحسنة هو الزينة وأن ما يقابله من كشف العورة قبح وفحش<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فإن ما يظهر اليوم في مجتمعاتنا من عورات النساء والرجال بسبب لبس الثياب القصيرة أو الممزقة - باسم الموضة - هو نوع من القبح والتلوث البصري، والذي يجب ستره بالثياب الحسنة، والفطرة السليمة تؤيد هذا، فإن ستر العورة والتحجب يضيفي على الإنسان جمالاً ووقاراً.

وأما ظاهر الآية فإنها تأمر بأخذ الزينة والتجمل عند الذهاب لأماكن العبادة، وهي الأماكن التي يغلب عليها الاجتماع والتقارب، ومن ثم فإن ظهور الإنسان بمظهر قبيح يؤدي الآخرين في أبصارهم، ولهذا أمرهم بأخذ الزينة في تلك الأماكن، وكل مكان مظنة الاجتماع والالتقاء.

(١) سورة الأعراف من آية: ٣١.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ج ٨ ص ١٣٢.

ويتضح من هدي الإسلام وتشريعاته في هذا الأمر تشريع الإسلام للأغسال الواجبة منها والمسنونة، وكذلك الوضوء للصلاة، وغسل اليدين والقدم بعد الطعام والسواك، وكل ما من شأنه أن يزيل الأذى عن البدن ويظهره في صورة حسنة أمام أبناء مجتمعه ممن يتعاملون معه، وكذلك في أمر الثياب والهيئة نجد النبي (ﷺ) يحرص دائما على أن يظهر بمظهر حسن وهيئة جميلة ويربي صحابته على هذا، ومن النصوص الواردة في ذلك: حديث سيدنا أبي الدرداء أن النبي (ﷺ) قال: (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ<sup>(١)</sup> فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ) وفي رواية: (.. فَأَحْسِنُوا لِبَاسَكُمْ وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ)<sup>(٢)</sup>.

والمراد: "كونوا في أحسن زي وهيئة حتى تظهروا للناس وينظروا إليكم، كما تظهروا الشامئة وينظروا إليها دون باقي الجسد"<sup>(٣)</sup>.

**ففي الحديث الشريف** توجيه نبوي كريم بأن يكون المسلم - بين الناس - علامة بارزة في مظهره وهيئته، بنظافة الملابس والعمامة والبدن، وإحسان المركب بلا مبالغة، كما يفهم من سياق الكلام أن الفحش هنا

(١) الشَّامَةُ: الْحَالُ فِي الْجَسَدِ، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ابن الأثير ج٢ ص ٤٣٦.

(٢) سنن أبي داود تحقيق شعيب الأناؤوط، وقال الشيخ شعيب إسناداه محتمل للتحسين، ك: اللباس، ب: ما جاء في إسهال الإزار، ص٦ج١٨٧ حديث رقم ٤٠٨٩ أخرجه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبي، المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤١١ - ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب اللباس، باب حديث عبدالله بن عباس، ج٤ ص٢٠٣ حديث رقم ٧٣٧١.

(٣) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ابن الأثير ج٢ ص ٤٣٦.

فحش بصري، ويتمثل في الهيئة الرثة والمظهر القبيح وما يماثله مما تقع عليه الأبصار من قبح<sup>(١)</sup>.

وهذا النص النبوي يذكر معنى آخر للتلوث البصري وهو سوء الهيئة وبذاءة المنظر واللباس.

وفي حديث سيدنا جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) ، فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا، قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكَنُ بِهِ شَعْرُهُ؟" وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ تَوْبَهُ" (٢)، وفي رواية أخرى: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي أَنْمَارٍ وَعِنْدَنَا صَاحِبٌ لَنَا نُجْهَرُهُ يَذْهَبُ يِرْعَى ظَهْرَنَا، قَالَ فَجَهَرْتُهُ. ثُمَّ أَدْبَرَ يَذْهَبُ فِي الظَّهْرِ وَعَلَيْهِ بُرْدَانٍ لَهُ قَدْ خَلَقَا، قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِ فَقَالَ: (أَمَا لَهُ تَوْبَانِ غَيْرِ هَذَيْنِ؟) فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. لَهُ تَوْبَانِ فِي الْعَيْبَةِ. كَسَوْتُهُ إِيَاهُمَا. قَالَ: (فَادْعُهُ، فَمَرُهُ فَلْيَلْبَسْنَهُمَا). قَالَ: فَدَعَوْتُهُ فَلْبَسْنَهُمَا. ثُمَّ وَلَّى يَذْهَبُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا لَهُ ضَرَبَ اللَّهُ عُنُقَهُ، أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا؟) (٣).

(١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١ص١٩٢حديث رقم٢٥٧، شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج١٧ص٤٥٨.

(٢) صحيح ابن حبان تحقيق وتخرىج الشيخ شعيب الأرنؤوط، ك: الزينة، ب: ذُكِرَ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الشَّعْرِ لِمُرْتَبِيهِ وَتَنْظِيفِ الثِّيَابِ ج١٢ص٢٩٤حديث رقم ٥٤٨٣ وقال الشيخ شعيب إسناده صحيح.

(٣) موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية-الإمارات، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج٥ص١٣٣٦حديث رقم ٣٣٧٣.

فأين أولئك الذين يتعمدون لبس الثياب الممزقة من على الأرجل وغيرها من بعض مواضع الجسد باسم الموضة من هذا الحديث، وقد أنكر الرسول (ﷺ) على الرجل بذاعته، وقبح هيئته، واستحسن مظهره عندما حسن من لباسه، فما لا شك فيه أن الطباع السليمة تنفر من الهيئة القبيحة وتتأذى منها، وتنجذب إلى الهيئة الحسنة وتألفها.

بل إن سيدنا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) يوجه أهل العلم والقراء إلى إحسان هيئتهم ولباسهم بقوله: (إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ أَنْظَرَ إِلَى الْقَارِيِّ أَبْيَضَ الثِّيَابِ)<sup>(١)</sup>، والمعنى المراد أي: "أَسْتَحِبُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ حُسْنَ الزِّيِّ وَالتَّجَمُّلِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، قَالَهُ الْبَاجِي"<sup>(٢)</sup>.

فأهل العلم يلتقون بالناس كثيراً ويجتمعون بهم، وهم محط أنظار الجميع، ومن ثم فإن ظهورهم في صورة منفرة يكون فيه أذى إذا ما وقعت أعين الناظرين عليهم.

ومن ثم يظهر اهتمام الإسلام بمظهر الإنسان والتوجيه إلى تحسينه حتى لا يكون مصدر أذى لغيره من بني جنسه في ملبسه وهيئته.

٢- **وأما فيما يتعلق بسلوك الإنسان:** فقد شرع الإسلام من الأحكام والآداب ما يضبط سلوك المسلم - رجل أو امرأة - في مشيته وحركاته وكلامه، بحيث يصطبغ كل جنس بصبغته التي فطره الله عليها، وإن من أبرز صور التلوث البصري المنتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة رؤية الميوعة والخلاعة والتخنث والتشبه في سلوك الشباب من الجنسين، إنها من

(١) المرجع السابق ج٥ ص١٣٣٦، ١٣٣٧ حديث رقم ٣٣٧٤.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٤، ص٢٢٤.

الصور والمظاهر المرئية التي تؤدي ذوي الفطر السليمة وتعتدي عليها.

والم تأمل في نصوص الإسلام يتضح له أن الإسلام عالج مثل تلك المظاهر والصور المبتذلة، فوجه إلى الاعتدال في الحركات والسلوكيات بداية من خطوات الإنسان وحركاته وحتى كلماته ونبرات صوته، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال - سبحانه - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال في حق النساء: ﴿وَلَا يَصْرِيحَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث سيدنا ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لَعَنَّ النبي (ﷺ) الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ (وفي رواية: المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)، وقال: (أَخْرَجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ، قَالَ فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فَلَانًا، وفي رواية له (ﷺ): أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَعَنَّ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَلَعَنَّ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: فيه من الفقه أنه لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة والأفعال والخصال التي هي للنساء خاصة، ولا يجوز للنساء التشبه بالرجال فيما كان ذلك للرجال خاصة من لباس وخصال وفعال<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة لقمان من آية: ١٩.

(٢) سورة لقمان من آية: ١٨.

(٣) سورة النور من آية: ٣١.

(٤) سنن أبي داود ت شعيب الأرنؤوط وقال إسناده حسن. أول كتاب اللباس، ب: في لباس النساء، ج٦ ص١٩٤ حديث رقم ٤٠٩٧، مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بن العباس، ج٣ ص٥١ حديث رقم ٢٢٩١.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٩ ص ١٤٠، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج٢٢ ص ٤١.



فكيف بهؤلاء وأولئك من الفتيان والفتيات ممن لا يمكن التمييز بينهم وبينهن في الملبس والهيئة والمشية بل والكلام، وغير ذلك من الصور السلبية التي تؤذي الأبصار.

وبعد فتلك أهم الخطوات العملية التي يمكن استنباطها من تعاليم الإسلام السمحة لعلاج تلك الظاهرة - التلوث السمعي والبصري - ومن قبلها كانت الأسس والمنطلقات التي يقوم عليها ذلك المنهج، يتبقى إعلام الناس بمفردات هذا المنهج وتوجيههم إلى الالتزام به، وهو دور الدعاة إلى الله والمؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،  
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد فقد طوّفت في صفحات هذا البحث مع موضوع التلوث  
السمعي والبصري وعلاجه في ضوء الإسلام، ومن خلال البحث في هذا  
الموضوع تم التوصل إلى ما يلي من نتائج وتوصيات:

### أولاً: النتائج:

- ١- الإنسان في حاجة إلى إشباع حواسه وروحه بما يناسبها من  
مسموعات ومرئيا وغيرهما.
- ٢- التلوث السمعي والبصري لا يقل خطراً عن التلوث الغذائي والهوائي،  
بل قد يزيد أحياناً، حيث يعطل حاستي السمع والبصر عن القيام بما  
ينبغي القيام به من أعمال، ويؤثر على الإنسان.
- ٣- التلوث السمعي والبصري لم يولد من تلقاء نفسه، ولم يحدث نتيجة  
خلل في الطبيعة، وإنما ظهر في المجتمعات المعاصرة نتيجة إفساد  
الناس في البيئة الطبيعية والمجتمعية.
- ٤- لقد وضع الإسلام من خلال نصوصه وتشريعاته منهجاً سديداً للتعامل  
مع ظاهرة التلوث السمعي والبصري وقاية وعلاجاً.
- ٥- من أهم أسس ومنطلقات المنهج الإسلامي في التعامل مع التلوث  
السمعي والبصري؛ تصحيح النظرة إلى البيئة وإحسان التعامل معها،  
التربية الجمالية للمسلم، ربط السلوك البيئي بالعقيدة، استشعار  
المسؤولية وتقوى الله تعالى.

**ثانياً: التوصيات:**

- ١- على الدعاة إلى الله تعالى أن يقوموا بدورهم في مواجهة التلوث السمعي والبصري بعرض تعاليم الإسلام وأحكامه وتشريعاته المتعلقة بتلك القضية عبر ما يُتاح لهم من قنوات شرعية.
- ٢- أوصي الآباء والأمهات أن يربوا أبناءهم على احترام البيئة التي يعيشون فيها سواء أكانت عناصر طبيعية أم سكنية أم بشرية أو حتى كائنات حية، والمحافظة على جمالها.
- ٣- أهاب بالمؤسسات التعليمية أن تولي قضايا البيئة اهتماماتها من خلال مناهج الدراسة والبرامج التثقيفية، والنشاطات العملية.
- ٤- على وسائل الإعلام دور خطير ومهم حيال تلك القضية يتمثل في بيان خطورة التلوث السمعي والبصري وحث الناس على التخلي عن السلوكيات السلبية التي تعمل على انتشار مظاهره في المجتمع، ثم تثقيف الناس بالسلوكيات الصحيحة حيال ذلك.
- ٥- أدعو المؤسسات البحثية والباحثين إلى الاهتمام ببحث القضايا الجديدة التي تمثل ظواهر مجتمعية لوضع العلاجات الناجحة لها.



### أهم المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٣- الإنسان وقضايا البيئة - د. ضاري العجمي ، د. عبدالمنعم مصطفى ط ١ / ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
- ٤- البيئة والإنسان رؤية إسلامية - د. زين الدين عبد المقصود ط دار البحوث العلمية - ط أولى - الكويت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ٥- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٦- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلبيّ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، المطبعة الكبرى الأميرية القاهرة، ط ١، ١٣١٣ هـ.
- ٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ م.
- ٨- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر- القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ - ١٤١٨ هـ.

- ١٠- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر.
- ١١- حماية السكينة العامة، ضيف الله بن رمضان بن صنيح العنزي، ١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- ١٢- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي، دار الفكر - بيروت.
- ١٣- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - البابي الحلبي.
- ١٤- سنن أبي داود ت: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى، ت: أحمد محمد شاكر وآخران، مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- ١٦- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٧- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٨- شرح النووي على مسلم، فتح المنعم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ١٩- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
- ٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت. ط٢، ١٩٩٥م.
- ٢٣- علم النفس البيئي، عبد الرحمن محمد عيسوي، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٧م.
- ٢٤- عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير بن علي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ .
- ٢٥- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د مهدي المخزومي وآخر، مكتبة الهلال.
- ٢٦- فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.
- ٢٧- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، دار الفكر.
- ٢٨- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

- ٢٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر - بيروت، ط٣/١٤١٤ هـ.
- ٣٠- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٣١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣٢- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- ٣٤- معالم القرية في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن بن الأخوة، دار الفنون - كمبردج.
- ٣٥- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت
- ٣٦- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٣٧- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- ٣٨- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد،  
مكتبة القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٣٩- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين  
التميمي الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- ٤٠- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، مطبعة  
السعادة - مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.
- ٤١- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، دار إحياء التراث  
العربي - مصر.
- ٤٢- نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن  
نصر بن عبد الله، جلال الدين الشيزري، مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر.
- ٤٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، المكتبة  
العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد  
الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- ٤٤- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت:  
عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



## الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة.	١٤٤٩
٢	التمهيد.	١٤٥٤
٣	البحث الأول: التلوث السمعي والبصري المظاهر الأسباب والآثار.	١٤٥٩
٤	أولاً: مظاهر التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة.	١٤٦٣
٥	ثانياً: مظاهر التلوث البصري في البيئة المعاصرة.	١٤٦٧
٦	ثالثاً: أسباب التلوث السمعي والبصري.	١٤٦٩
٧	رابعاً: آثار التلوث السمعي على الإنسان.	١٤٧٥
٨	خامساً: آثار التلوث البصري على الإنسان.	١٤٨١
٩	البحث الثاني: أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري.	١٤٨٥
١٠	أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح لعلاقة الإنسان بالبيئة.	١٤٨٧
١١	ثانياً: اهتمام الإسلام بالتربية الجمالية للمسلم.	١٤٩١
١٢	ثالثاً: الربط بين العقيدة وبين ما يحقق السلام السمعي والبصري من سلوك.	١٤٩٢
١٣	رابعاً: التلوث السمعي والبصري ضرر نهى عنه الإسلام.	١٤٩٥
١٤	خامساً: استشعار المسؤولية العامة نحو شركاء البيئة والمجتمع.	١٤٩٩
١٥	سادساً: تقوى الله ومراقبته وقاية للمجتمع من التلوث السمعي والبصري.	١٥٠١
١٦	البحث الثالث: خطوات علاج التلوث السمعي في ضوء تعاليم الإسلام.	١٥٠٣
١٨	أولاً: التأكيد على حاجة الإنسان إلى السكينة والعمل على تحقيقها	١٥٠٥
	ثانياً: الحث على الاعتدال في الصوت ونداوته. والنهي عن الإسراف في الكلام.	١٥٠٨
١٩	ثالثاً: الحرص على تخليئة أماكن اجتماع الناس من الضوضاء والصخب.	١٥١٣

١٥١٨	رابعاً: التوجيه إلى نظافة البيئة الاجتماعية من الملوثات اللغوية.	٢٠
١٥٢١	خامساً: النهي عن الترويع والإفزع ولو مزاحاً.	٢١
١٥٢٣	المبحث الرابع: خطوات علاج التلوث البصري في ضوء تعاليم الإسلام.	٢٢
١٥٢٥	أولاً: الترغيب في النظافة وخلق البيئة من الملوثات البصرية.	٢٣
١٥٢٨	ثانياً: الترهيب والتحذير من تعريض الناس للملوثات البصرية.	٢٤
١٥٣٠	ثالثاً: الحض على حفظ البيئة الطبيعية من الإفساد والتشويه.	٢٥
١٥٣٢	رابعاً: الاهتمام بخلق أماكن تواجد الناس واجتماعهم من التلوث البصري.	٢٦
١٥٣٧	خامساً: الاهتمام بضبط سلوك المسلم ومظهره الشخصي.	٢٧

